"إن التسامح والإعتدال والوسطية،

هي السبيل للوصول بالوطن إلى شاطىء الأمان"

نجيب ميقاتي

مراحل تطور مفهوم الوسطية في الفكرالمعاصر

رغم عمق مفهوم الوسطية في التراث الاسلامي, الا انه جرى حتى الآن بحثه في اطار ديني, والى حد ما سلوكي, ولم يجر تعميقه سلوكيا كما لم يتم بحثه سياسيا بعمق.
وسوف نعرض تالياً أهم مراحل تطور مفهوم الوسطية :
1 – في مطلع الثمانينات بدأ مصطلح الوسطية بالظهور في كتابات الداعية الشيخ يوسف القرضاوي، وهي الكتابات المؤسسة لهذا المصطلح، وخصوصاً كتابة "الصحوة الإسلامية" بين الجحود والتطرف" (1982)، في هذا الكتاب يخصص فصلاً مختصراً بعنوان "دعوة الإسلام إلى الوسطية" يتحدث فيه في بضعة سطور عن وسطية الإسلام، وأن "الوسطية إحدى الخصائص العامة للإسلام"، وبدأ المصطلح منذ ذلك الوقت بالإنتشار.
هذا المصطلح ظهر في سياق "مواجهة" التطرف والعنف الذي أصبح نهجاً للعديد من الحركات الإسلامية منذ منتصف السبعينيات في مصر وسورية وفلسطين، وبدأ بجذب الشباب المتدينين في ظل حالة الاستعصاء السياسي والتعامل الأصولي و الاستئصالي مع الحركات الإسلامية.
وكان هذا المصطلح مشحوناً بالانشغال السياسي، فهو عملياً نشأ من رحم المواجهة السياسية وظهر ليكون جزءاً من مواجهةٍ سياسيةٍ فكريةٍ محتدمة. مع التطرف الحركي والعنف، ويكاد معناه ينحصر في الدعوة إلى التعقل والتراجع إلى العمل السياسي السلمي.
2- الدعوة الايرانية التي اطلقها الرئيس الايراني السابق محمد خاتمي عام 1998 ثم تبناها مؤتمر القمة الاسلامي في طهران عام 1999 ثم الامم المتحدة بقرار من الجمعية

العامة حول مفهوم حوار الحضارات كردٍ اسلاميٍّ على طرح صدام الحضارات.

3- تبني الازهر مفهوم حوار الحضارات وبدء عملية مستمرة من هذا الحوار في سلسلة من المؤتمرات الاسلامية في مصر حيث تم دعوة مفكرين من العديد من الدول الاسلامية وغير الاسلامية, وانشاء الازهر وحدة لحوار الحضارات يشرف عليها الشيخ فوزي الزفراف وكيل الازهر الاسبق.

4- هذا بالاضافة لحوارات تبناها الازهر والاوقاف في مصر في ظل الدكتور محمود حمدي زقزوق, والمجلس الاعلى للشؤون الاسلامية في مصر بالتعاون مع عدة مؤسسات من الفاتيكان والنمسا والمانيا وغيرها لطرح مفاهيم الحوار والتعايش.. ولكن في تقديرنا يؤخذ على المبادرة الايرانية ان السلوك الايراني متناقض مع الفكر المطروح من خاتمي, اما مبادرات الازهر والاوقاف في مصر, فقد انحصر معظمها في المفاهيم الدينية, كما انها ذات طبيعة دفاعية, وقد ظل الامر طروحاتٍ دينيةً اكثر منها حركةً سياسيةً دينيةً نشطةً تواجه الارهاب والتطرف.

5- عقد عدة مؤتمرات في الأردن والبحرين وقطر والكويت والسعودية حول مفاهيم حوار الاديان وتعايش الاديان وحوار المذاهب الاسلامية ونحو ذلك, وهذه في معظمها اتسمت بالسمة الرسمية في اطار الحركة السياسية للدولة ومن ثم فان اثرها الفعلي كان ضئيلا.

6- طرح رئيس جمهورية باكستان برويز مشرف الذي تبناه مؤتمر القمة الاسلامي في ماليزيا عام 2002 لمفهوم الوسطية المستنيرة ثم طوّره الرئيس مشرف في ندوة عقدت في باكستان 2003 شارك فيها نخبةٌ من مثقفي بعض الدول الاسلامية والعربية.

7- نجاح بعض الدول الاسلامية في بناء نظامٍ اسلامي معتدلٍ من خلال صناديق الاقتراع ومن خلال العمل والتقدم العلمي ونخص بالذكر النموذج الماليزي والى حد ما النموذج التركي في ظل حكومة العدالة والتنمية, وهي نماذج امتازت بالجمع بين التقدم العلمي الحديث, والاعتماد على صندوق الانتخاب كأداةٍ للوصول للسلطة, واحترام المعارضة السياسية الى حد كبير, والتعاون مع الدول المختلفة خصوصاً الدول المسيطرة على السياسة الدولية, والانفتاح الاجتماعي والسياسي والاقتصادي الداخلي.

تلك نبذة موجزة عن اهم ملامح تطور مفهوم الاعتدال والوسطية في الفكر والممارسة السياسية العربية والاسلامية وهي توضح لنا بلا شك ان الموضوع ما زال بكرًا ويحتاج لمزيد من العمق في البحث السياسي وايضا في ممارسة السلوك السياسي ويحتاج إلى دراسةٍ وبحثٍ مستفيضين ليأخذ بذلك الطابع الشمولي كمنهاج للحياة ومشروعاً حضارياً متقدماً.

من هنا كان انطلاق فكرة عقد هذا المؤتمر الجامع الذي دُعي إليه نخبةٌ من السادة العلماء والباحثين الأجلاء، لنلتقي معاً في بيئةٍ حيويةٍ للحوار لتكوين رؤيةٍ واضحةٍ نحو تطوير المفهوم السياسي لفكر الوسطية المعاصر، مرجعيتنا

في ذلك تكوين وسطية لبنانية الإطار، عربية الهوية، إسلامية المنطلق، إنسانية التوجه، سمتها التوازن، وقوامها الاعتدال، ليس فيها للجمود مكان، أو للانفلات موقع.

جمعية العزم والسعادة الاجتماعية

الوسطية: منهج استراتيجي للأمة

المهندس مروان الفاعوري

الأمين العام للمنتدى العالمي الوسطية

ليست الوسطية منهجية السلامة والبحث عن الاسهل والتهاون في الدين ولكنها الحق الاصيل الذي جاء به محمد (صلى الله عليه وسلم) حينما جلس يوماً بين أصحابه وخط خطّاً مستقيماً ورسم خطوطاً ثم قرأ: "وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوهُ ولا تتبعوا السُبل فتفرقَ بكم عن سبيلهِ ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون" (سورة الانعام:153)، **والوسطية لاتعني الاستسلام، بل العدل والوقوف في وجه الظلم، وهي دوماً إلى جانب المقاومة المشروعة.** تيار الوسطية: هو التيار الاصيل في الأمة منذ فجر التاريخ ، والمجتمع بحاجةٍ إلى تيارٍ يمثّل الفكر الإسلامي المعتدل، ويطرح مفهوم الوَسَطِيَّة فكراً، واداءً، ورقابةٌ وتعاملاً وسلوكاً لذا فإن الوَسَطِيَّة منهجٌ فكريٌ يقوم على الاعتدال في كل أمور الحياة، وهي ليست موقفاً في جانب دون آخر، بل إنها منهجية تحكم التعامل بعدل مع أنفسنّا ومع غيرنا، سواء أكان مسلماً أم غير ذلك، وهي اجتناب كل مظاهر الغلوّ في الفكر والسلوك والممارسة، وهذا يعنى تعميق النظرية الوَسَطِيَّة في البعد السياسي بحيث تحرص من خلال ذلك على التوازن بين السلطات الثلاث التشريعية والتنفيذية والقضائية، كما أن من تجلياتها التوازن في الحقوق والواجبات بين الحاكم والمحكوم. إنّ الوَسَطِيَّة هي مرجعيةٌ فكريةٌ قيمية، ومعياراً حاكماً يتعين الاحتكام إليه في تحديد الأنسب أو الأصلح قولاً وفكراً وفقهاً، وموقفاً ووضعاً، وخُلقاً وسلوكاً عملياً. ونقصد بالوَسَطِيَّة: الاعتدال في التصورات والمناهج والمواقف. وفي نفس الوقت الوَسَطِيَّة لا تعني عندنا أنصاف الحلول، بل هي تحرٍ متواصل

للصواب في التوجّهات والاختيارات. فالوَسَطِيَّة ليست مجرد موقف بين اليمين واليسار السياسي، بل هي منهجٌ فكريٌ وموقفٌ أخلاقيٌ وسلوكي .

إن الوَسَطِيَّة تعني اجتناب كل مظاهر الغلوّ والتطرف، والنظرة السوداوية التي تجعل صاحبها يقسّم العالم والمجتمع بالنسبة إليه إلى أبيض وأسود، وإلى خيرٍ وشرٍ فقط .والوَسَطِيَّة التزامٌ ومسؤوليةٌ في العمل السياسي، والتزامٌ بالمبادئ والقيم السياسية التي ندعو إليها وندافع عنها، فلا ندعو غيرنا إلى الإصلاح ونترك الإصلاح في ذاتنا، ولا نطالب بالديمقراطية ونكون أول المنقلبين عليها في العلاقات الداخلية بيننا.

الوَسَطِيَّة إنصاف لغيرنا. فالوَسَطِيَّة عدلٌ في المواقف مهما تكن درجة الاختلاف السياسي مع الآخرين.
والوَسَطِيَّة تعني عندنا أن تراعي البرامج التنموية التوازن في الاستجابة لحاجات الإنسان المادية والروحية. والوَسَطِيَّة إعلاءٌ لقيمة الإنتاج والعمل والتنافس، وإطلاق حرية المبادرة الفردية والجماعية، دون أن يكون ذلك على حساب التعاون والتضامن، أو تكريساً لقيم الفردية والذاتية المتطرفة والمنافسة غير المشروعة.

الوَسَطِيَّة موقفٌ متوازنٌ من الحياة الثقافية والفكرية بين من يرى بأن تاريخنا وماضينا قادرٌ على علاج كل قضايانا ومشاكلنا بمعزل عن فقه الواقع .فالوَسَطِيَّة بقدر ما هي تثبيتٌ للثوابت وإنطلاق من المرجعية، هي تجديدٌ متواصلٌ

في مختلف مظاهر حياتنا الثقافية والفكرية، على اعتبار أنّ لكل جيل كسبه وتجربته التاريخية الخاصة "تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تُسألون عما كانوا يفعلون" (البقرة:141).

الوَسَطِيَّة ليست منهجيةً اعتذارية ولا تبريرية، بل هي منهجية إصلاحية، فهي ليست مرحلة ًوإنما منهج حياة مطلوب في كل حين، وهي تعني الاعتدال والتسامح. وتعني كذلك المثل الأعلى للبشر. وهي تعني القدرة ولا تعني الخنوع والضعف، فمن يكون في الوسط يكون قادراً على التحكم بالأطراف.
ختاماً نقول إننا نَعْنِي بِالوَسَطِيَّة: تأكيد منهج الاعتدال في كل برامجنا وتوجّهاتنا، كما تعني تأكيد مفهوم أنّ الأمة الشاهدة لا بدّ أن تكون في وضعٍ أفضل من المشهود لها، مما يستوجب استثارة كل الهمم، لرفع شأن أمتنا إنطلاقاً من منهجنا القويم.

القسم الأول

الوثائق التأسيسية لفكر الوسطية

رسالة عمّان

بسم الله الرحمن الرحيم

بدأت رسالة عمّان كبيانٍ مفصّلٍ أصدره صاحب الجلالة الملك عبدالله الثاني ابن الحسين ، عشيّة السابع والعشرين من رمضان المبارك عام 1425هـ/ التاسع من تشرين الثاني (نوفمبر) عام 2004م، في عمّان، الأردن. وغايتها أن تعلن على الملأ حقيقة الإسلام وما هو الإسلام الحقيقي ، وتنقية ما علق بالإسلام مما ليس فيه، والأعمال التي تمثّله وتلك التي لا تمثّله. وكان هدفها أن توضح للعالم الحديث الطبيعة الحقيقية للإسلام وطبيعة الإسلام الحقيقي.

ومن أجل إعطاء البيان شرعيةً دينيةً أكبر، بعث جلالة الملك عبدالله الثاني بالأسئلة الثلاثة التالية إلى أربعةٍ وعشرين عالماً من كبار علماء المسلمين من ذوي المكانة المرموقة من جميع أنحاء العالم، يمثلون جميع المذاهب والمدارس الفكرية في الإسلام:

1. تعريف من هو المسلم؟
2. وهل يجوز التكفير ؟
3. ومن له الحق في أن يتصدّى للإفتاء؟

واستناداً إلى الفتاوى التي أصدرها هؤلاء العلماء الكبار (الذين من بينهم شيخ الأزهر، وآية الله السيستاني، والشيخ القرضاوي)، دعا جلالة الملك عبدالله الثاني، في تموز (يوليو) 2005م، إلى عقد المؤتمر الإسلامي الدولي الذي شارك فيه مائتان من العلماء المسلمين البارزين من خمسين بلداً. وفي عمّان، أصدر العلماء بالإجماع توافقهم

على ثلاث قضايا رئيسيةً غدت تعرف فيما بعد كـ "محاور رسالة عمّان الثلاثة"، وهي:

(1) إنّ كل من يتّبع أحد المذاهب الأربعة من أهل السنّة والجماعة (الحنفي، والمالكي، والشافعي، والحنبلي) والمذهب الجعفري، والمذهب الزيدي، والمذهب الإباضي، والمذهب الظاهري، فهو مسلم، ولا يجوز تكفيره. ويحرم دمه وعرضه وماله. وأيضاً، ووفقاً لما جاء في فتوى فضيلة شيخ الأزهر، لا يجوز تكفير أصحاب العقيدة الأشعريّة، ومن يمارس التصوّف الحقيقي. وكذلك لا يجوز تكفير أصحاب الفكر السلفي الصحيح.

كما لا يجوز تكفير أيّة فئةٍ أخرى من المسلمين تؤمن بالله سبحانه وتعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم وأركان الإيمان، وتحترم أركان الإسلام، ولا تنكر معلوماً من الدين بالضرورة.

(2) إنّ ما يجمع بين المذاهب أكثر بكثير ممّا بينها من الاختلاف. فأصحاب المذاهب الثمانية متفقون على المبادىء الأساسيّة للإسلام. فكلّهم يؤمنون بالله سبحانه وتعالى، واحداً أحداً، وبأنّ القرآن الكريم كلام الله المنزَّل، وبسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام نبياً ورسولاً للبشرية كافّة. وكلهم متفقون على أركان الإسلام الخمسة: الشهادتين، والصلاة، والزكاة، وصوم رمضان، وحجّ البيت، وعلى أركان الإيمان: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشرّه. واختلاف العلماء من أتباع المذاهب هو اختلاف في الفروع

وليس في الأصول، وهو رحمة. وقديماً قيل: إنّ اختلاف العلماء في الرأي أمرٌ جيّد.

(3) إنّ الاعتراف بالمذاهب في الإسلام يعني الالتزام بمنهجيةٍ معينةٍ في الفتاوى: فلا يجوز لأحد أن يتصدّى للإفتاء دون مؤهّلاتٍ شخصيةٍ معينةٍ يحددها كل مذهب، ولا يجوز الإفتاء دون التقيّد بمنهجية المذاهب، ولا يجوز لأحد أن يدّعي الاجتهاد ويستحدث مذهباً جديداً أو يقدّم فتاوى مرفوضة تخرج المسلمين عن قواعد الشريعة وثوابتها وما استقرَّ من مذاهبها.

وقد تبنّت القيادات السياسية والدينية في العالم الإسلامي هذه النقاط الثلاث بالإجماع في قمة منظمة المؤتمر الإسلامي في مكّة المكرمة في كانون الأول (ديسمبر) عام 2005م. وعلى مدى عام من تموز(يوليو) 2005م إلى تموز (يوليو) 2006م، تم تبنّي النقاط الثلاث بالإجماع أيضاً في ستة مؤتمراتٍ إسلاميةٍ عالميةٍ أخرى، كان آخرها مؤتمر مجمع الفقه الإسلامي العالمي (ومقرّه جدّة)، الذي عقد في عمّان في تموز (يوليو) 2006م.

فكان محصلة ذلك أن ما يزيد على خمسمائة عالم إسلامي بارز من مختلف أرجاء العالم وافقوا بالإجماع على رسالة عمّان ومحاورها الثلاثة..

إن هذا يُعد بمثابة إجماعٍ تاريخي ديني وسياسي من أمة الإسلام في أيامنا هذه، وتعزيز لصورة الإسلام الحنيف. و أهمية هذا هو:

(1) أن هذه هي المرّة الأولى منذ ما يزيد على ألف عام تتوصل فيها الأمة رسمياً وبصورة مُحدّدة إلى مثل هذا الاعتراف المتبادل بين المذاهب المتعددة،
(2) وأن مثل هذا الاعتراف ملزم قانونياً للمسلمين، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : "إن أمتي لا تجتمع على ضلالة" (ابن ماجة، السنن، كتاب الفتن، حديث رقم 3950).
وهذه أخبارٌ طيبة، ليس للمسلمين الذين يوفر لهم قاعدة للوحدة وحلاً للتنازع فيما بينهم فحسب، ولكن لغير المسلمين أيضاً؛ ذلك أن حماية المذاهب في الإسلام، تعني بالضرورة الحفاظ على الضوابط ووسائل الرقابة الداخلية في الإسلام. وبهذا تضمن وجود حلولٍ إسلاميةٍ متوازنة للقضايا الرئيسية مثل حقوق الإنسان، وحقوق المرأة، وحرية الأديان، والجهاد المقبول شرعاً، والمواطنة الصالحة للمسلمين في البلدان غير الإسلامية، والحكومة العادلة الديمقراطية. كما أنها تعرّي آراء الأصوليين المتطرفين والإرهابيين، غير المقبولة شرعاً من وجهة نظر الإسلام الحقيقي. ويحضرنا في هذا المقام ما صرّح به جورج يو وزير خارجية سنغافورة في الدورة الستين للجمعية العامة للأمم المتحدة (حول رسالة عمّان)، عندما قال: " إن الحرب ضد الإرهاب ستكون أكثر صعوبةً دون هذا التوضيح".
وأخيراً، مع أنه يعتبر هذا، بفضل الله، إنجازاً تاريخياً، فمن الواضح أنه سيبقى قليل الفاعلية إن لم يمارس في كل

مكان. ولهذا يسعى جلالة الملك عبدالله الثاني الآن لتنفيذه، بمشيئة الله، من خلال إجراءات عملية متنوعة، تشمل:
(1) المعاهدات ما بين المسلمين،
(2) التشريعات الوطنية والعالمية التي تستفيد من المحاور الثلاثة لرسالة عمّان لتعريف الإسلام وعدم إجازة التكفير،
(3) الاستفادة من النشر ووسائل الإعلام المتعددة في مختلف المناحي لنشر رسالة عمّان،
(4) إدخال تدريس رسالة عمّان في المناهج المدرسية والمواد الدراسية الجامعية في أنحاء العالم،
(5) جعل رسالة عمّان جزءًا من برنامج التدريب لأئمة المساجد وتضمينها في خطبهم ومواعظهم ودروسهم الدينية.

يقول الله تعالى:
لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً [النساء: 114].

قادة العالم الإسلامي يتبنون بلاغ مكة

لتعزيز العمل الإسلامي المشترك والوثيقة العشرية

"بلاغ مكة" ينبذ التعصب والانغلاق والاستبداد والإقصاء

تعميق الحوار بين المذاهب والوسطية والاعتدال وتجريم التكفير والإرهاب

الجمعة 7-11-1426 هجرية – 9-12-2005 ميلادية

"ان صفحةً جديدةً في تاريخ الامة الاسلامية قد بدأت اليوم ..... أهم ما في هذه الصفحة الجديدة التركيز على قيم التسامح والمحبة والاتحاد لمستقبلٍ اسلاميٍ زاهرٍ ينتظره المسلمون".

بسم الله الرحمن الرحيم

بلاغ مكة المكرمة

نحن ملوك ورؤساء وأمراء الدول والحكومات الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي اذ نجتمع في الدورة الاستثنائية الثالثة للمؤتمر الإسلامي المنعقد في مكة المكرمة بين 5 الى 6 ذى القعدة 1426هـ الموافق 7 و 8 ديسمبر 2005 نرفع آيات الحمد لله عزّ وجلّ اذ منّ علينا أن نجتمع في رحاب هذا البلد الحرام على ثرى مهد الرسالة الاسلامية قبلة المسلمين التى انطلق منها نور الإسلام ليهدى البشرية الى سبل الخير والسلام ويرسى دعائم حضارة اسلامية شكلت رافداً مهماً من روافد الحضارة الانسانية.

واذا ما كان ظهور الرسالة الاسلامية بمضامينها السامية استهدف اخراج العالم من غياهب الجهل والظلام والاستبداد الى نور الحق والعدالة وطريق العلم والمعرفة ومبادئ التعايش السلمي فاننا نجد انفسنا اليوم في عهدٍ اختلفت فيه المفاهيم واختلطت القيم وعم الجهل واستشرت الأمراض والأوبئة وتفشّى الظلم وتدهورت فيه بيئة الانسان وأضحينا احوج ما نكون فيه الى منظورٍ جديدٍ

للخروج بالأمة كما شاءت ارادة الله لكى تكون مصدراً للاشراق والعلم والمعرفة والأخلاق ومناراً للانسانية.
ان الحفاظ على هويتنا الاسلامية وقيمنا الاساسية ومصالح الامة العليا لن يأتى الا من خلال انتماء المسلمين الصادق الى الاسلام الحقيقى والتزامهم الحق بمبادئه وقيمه الاصيلة منهاجاً لحياتهم لكى تنهض الامة وتمارس دورها الفعال في خدمة البشرية والحضارة الانسانية. اننا نستشعر ضمير الأمة الذى عبر عنه علماؤها ومفكروها جزاهم الله عنا خير الجزاء في لقائهم الذى سبق اجتماع القمة مدركين التحديات التى اشاروا اليها على الصعد السياسية والتنموية والاجتماعية والثقافية والعلمية كافةً وما تتعرض له الأمة من تهديدات داخلية وخارجية أسهمت في تعميق المأزق الحالى الذى تعيشه وتنعكس على مستقبله بل ومستقبل البشرية والحضارة الانسانية, ولابد من التعامل مع هذه التحديات من خلال رؤيةٍ استراتيجيةٍ تخطط لمستقبل الامة وتواكب المتغيرات الدولية وتطوراتها من اجل بلورة رؤيةٍ تستشرف آفاق المستقبل بما يمكن العالم الاسلامى من التعامل مع تحديات القرن الحادى والعشرين بالاستناد الى ارادةٍ جماعيةٍ وعملٍ اسلامىٍ مشترك.
وفي هذا الاطار فانه ينبغى علينا الوقوف وقفة صادقة حازمة مع النفس حول اصلاح شأن الامة الذى يبدأ من إصلاح الذات بالاتفاق على كلمة سواء ركيزتها كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والتصدى بكل حزم لدعاة الفتنة والانحراف والضلالة التى تستهدف تحريف مبادئ الاسلام السامية الداعية الى المحبة والسلام

والوئام والحضارة الى أفكار منحرفة تقوم على الجهل والانغلاق والكراهية وسفك الدماء. ان امتنا الاسلامية مطالبة بالاجتماع على الخير مصداقا لقوله عز وجل(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)(آل عمران آية 103)، الامر الذى يستوجب من علمائنا وفقهائنا توحيد كلمتهم في فضح انحراف هذه الفئة الضالة وبطلان مزاعمها واتخاذ موقفٍ حازم ضدها. تجريم الإرهاب وإذ نؤكد في هذا الصدد على ان الارهاب ظاهرةٌ عالميةٌ لا تقتصر على أى دينٍ او جنسٍ او لونٍ او بلدٍ وعلى عدم وجود أى مبررٍ او مسوغٍ للارهاب بجميع اشكاله وانواعه ومصادره فإننا عازمون بحول الله تعالى على تطوير أنظمتنا وقوانيننا الوطنية لتجريم كل ممارسات الارهاب وتمويلها والتحريض عليها مطالبين في الوقت نفسه بمضاعفة الجهود الدولية وتنسيقها لمواجهة الارهاب بما في ذلك انشاء المركز الدولى لمكافحة الارهاب الذى أقره مؤتمر الرياض لمكافحة الارهاب.

ان أولوية الإصلاح والتطوير تشكل قناعةً تجمع عليها الأمة حكوماتٍ وشعوباً في اطارٍ نابع من داخل مجتمعاتنا الاسلامية ومتوائمٍ مع مكتسبات الحضارة الانسانية ومستلهمٍ لمبادئ الشورى والعدل والمساواة في تحقيق الحكم الرشيد وتوسيع المشاركة السياسية وتكريس سيادة القانون وصيانة حقوق الانسان وبسط العدالة الاجتماعية والشفافية والمساءلة ومحاربة الفساد ، وبناء مؤسسات المجتمع والحضارة الاسلامية هى جزءٌ لا يتجزأ من الحضارة الانسانية تقوم على قيم الحوار والوسطية والعدل

والبر والتسامح باعتبارها قيماً انسانيةً راقية في مقابل التعصب والانغلاق والاستبداد والإقصاء لذلك فانه من المهم تعميق هذه القيم السامية في خطابنا الإسلامى داخل مجتمعاتنا وخارجها. وإذ نؤكد على نبذنا التطرف والغلوّ والعنف فاننا نبدى استياءنا وقلقنا من تنامى ظاهرة كراهية ومعاداة الاسلام في العالم باعتبارها شكلا ً من اشكال العنصرية والتمييز وعن العزم على العمل الجاد للتصدى لها بالوسائل المتاحة كافة. ولما يشكله التعاون الاقتصادى والتكافل الاجتماعى بين الدول الاسلامية من اهميةٍ في تعزيز تضامنها وتعظيم استفادتها من مزايا العولمة وتفادى سلبياتها فاننا نعتبر اهداف محو الأمية واستئصال الأمراض والاوبئة ومكافحة الفقر في الدول الاسلامية اهدافا استراتيجيةٍ ملحةٍ تتطلب حشد الموارد اللازمة كافة لتحقيقها.

ان تحقيق الأهداف المتوخاة لن يتأتى الا من خلال الالتزام بالجدية والمصداقية في العمل الاسلامى والانطلاق من رؤيةٍ جديدةٍ للعالم الاسلامى تتعامل مع التحديات الدولية ومتغيراتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية بما يحفظ قيم الامة ومصالحها فقد تم اعتماد وإقرار خطة العمل العشرية لمواجهة تحديات الأمة الاسلامية في القرن الواحد والعشرين واننا لندعو ربنا ان يهيىء لنا من امرنا رشدا وفي مسعانا توفيقاً وفي حياتنا خيرا. (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننَّ لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لايشركون بى

شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون.) (النور آية 55).

مقررات القمة الإسلامية الإستثنائية مكة المكرمة

البيان الختامي

دورة مواجهة تحديات القرن الحادى والعشرين

الجمعة 1426/11/7 هـ - 2005/12/9 م

تلبيةً للدعوة الكريمة الموجهة من خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز الى اخوانه قادة الامة الاسلامية فقد انعقدت الدورة الثالثة لمؤتمر القمة الاسلامية الاستثنائية بمكة المكرمة في 5 و6 ذي القعدة 1426هـ الموافق 7 و 8 ديسمبر 2005.

افتتحت القمة بتلاوة آياتٍ من القرآن الكريم ثم ألقى خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبدالعزيز آل سعود كلمة أكد فيها ان المؤمن القوي بربه لا يقنط من رحمته وان الوحدة الاسلامية لن يحققها سفك الدماء كما يزعم المارقون بضلالهم من الغلوّ والتطرف والتكفير لا يمكن له ان ينبت بأرضٍ خصبةٍ بروح التسامح ونشر الاعتدال والوسطية واكد تطلعه الى امةٍ اسلاميةٍ موحدةٍ والى حكمٍ يقضي على الظلم والقهر والى انتشار الوسطية التى تجسد سماحة الاسلام والى مخترعين وصناعيين مسلمين وتقنية مسلمة متقدمة الى شباب مسلم يعمل لدنياه كما يعمل لآخرته. وخاطب الجلسة الافتتاحية دولة الرئيس الدكتور عبد الله بن احمد بدوى رئيس وزراء ماليزيا بصفته رئيسا لمؤتمر القمة الاسلامى العاشر فأكد ان الامة الاسلامية لم يعد بمقدورها ان تنكر ان الأسباب الكامنة وراء الظروف المزرية التى تعيشها اليوم يجب التصدى لها ومعالجتها معالجةً شموليةً من خلال بناء القدرات وابراز الصورة الحقيقية للاسلام. واطلع المؤتمر على ان ماليزيا عرضت استضافة اجتماعات لمناقشة الحكم الرشيد وانشاء آلية للقوى الدستورية من أجل تخفيف اثار الكوارث الطبيعية في الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الاسلامي . خاطب

الجلسة الافتتاحية ايضا البروفسور أكمل الدين احسان اوغلى أمين عام منظمة المؤتمر الاسلامى مبينا ما تطمح الى تحقيقه من مكانةٍ لائقةٍ لها على الساحة الدولية آخذاً في الحسبان التطورات الهائلة في النظام العالمى وضرورة التخطيط الاستراتيجى لمواكبة هذه التطورات بالطرق التى تحفظ للعالم الاسلامى مصالحه العليا وتمكن الأمة من المحافظة على هويتها وحضارتها وقيمها الانسانية والسامية باعتبارها عوامل اساسية ً في تماسك نسيج المجتمعات المسلمة وتعزيز الاستقرار الاجتماعى لها. بعد أن اطلع المؤتمر على التقارير المقدمة له والتوصيات المرفوعة إليه من اجتماع وزراء الخارجية التحضيرى للقمة الاستثنائية وبعد مناقشة القضايا المدرجة على جدول اعماله قرّر المؤتمر تبنّى بلاغ مكة وبرنامج العمل العشري لمواجهة تحديات الامة الاسلامية في القرن الحادى والعشرين والإعلان الآتى: الاسلام دين الوسطية.

اولاً:المجال الفكري :

أكد المؤتمر أن الاسلام هو دين الوسطية ويرفض الغلوّ والتطرف والانغلاق، وأكد في هذا الصدد أهمية التصدي للفكر المنحرف بكافة الوسائل المتاحة الى جانب تطوير المناهج الدراسية بما يرسّخ قيم التفاهم والتسامح والحوار والتعددية، وأكد المؤتمر على ان حوار الحضارات المبنيّ على الاحترام والفهم المتبادليْن والمساواة بين الشعوب أمرٌ ضروريٌ لبناء عالمٍ يسوده التسامح والتعاون والثقة بين الامم، ودعا المؤتمر الى مكافحة التطرف المستتر بالدين والمذهب وعدم تكفير المذاهب الاسلامية واكد تعميق

الحوار بينها وتعزيز الاعتدال والوسطية والتسامح وندّد بالجرأة على الفتوى ممّن ليس اهلاً لها، واكد المؤتمر على اهمية اصلاح مجمع الفقه الاسلامي ليكون مرجعيةً فقهيةً للامة الاسلامية.

ثانياً: المجال السياسي: القضية الفلسطينية: أكد المؤتمر أهمية قضية فلسطين باعتبارها القضية المركزية للامة الاسلامية، وعليه فإن انهاء الاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية والفلسطينية المحتلة منذ عام 1967م بما فيها القدس الشرقية والجولان السوري واستكمال الانسحاب الاسرائيلي من باقي الاراضي اللبنانية المحتلة وفق قرار مجلس الامن الدولي رقم 425 يعتبر مطلباً حيويا للامة الاسلامية قاطبةً ومن شأن هذه القضية توحيد الموقف الاسلامي من الحل الشامل لقضية فلسطين وفق قرارات الامم المتحدة ومبادرة السلام العربية وخريطة الطريق.

كما يجب بذل الجهود من اجل استعادة مدينة القدس والمحافظة على طابعها الاسلامي والتاريخي وتوفير الموارد الضرورية للحفاظ على المسجد الاقصى وباقي الاماكن المقدسة وحمايتها والتصدي لسياسة تهويد المدينة المقدسة ودعم المؤسسات الفلسطينية فيها وانشاء جامعة الاقصى في مدينة القدس.

ودعا الى دعم وقفية صندوق القدس بحيث يسهم كل مسلم بدولار واحد الى جانب مساهمة الدول الاعضاء للحفاظ على المقدسات في مدينة القدس، وفي مقدمتها المسجد الاقصى المبارك، والمحافظة على المعالم الحضارية والتاريخية في المدينة المقدسة وعلى طابعها العربي

الاسلامي وتعزيز صمود اهلها لتعود عاصمة ً للتعايش والتسامح ، عاصمة ً لدولة فلسطين.
واكد العمل مع المجتمع الدولي من اجل حمل اسرائيل على وقف الاستيطان وتفكيك المستوطنات في الاراضي الفلسطينية المحتلة والجولان السوري المحتل وكذلك وقف بناء الجدار وازالة الجزء القائم منه وفقا ً للفتوى القانونية لمحكمة العدل الدولية.
العراق: ناقشت القمة الوضع في العراق حيث اعربت عن ترحيبها بالمبادرة العربية للوفاق الوطني بين الفئات العراقية وعن أملها في ان تؤدي الانتخابات التشريعية القادمة الى قيام الحكومة العراقية الدستورية بما يحفظ وحدة العراق وسلامة اراضيه ويحقق أمنه واستقراره ويمكّن العراق من القيام بدوره الحضاري في الساحة العربية والاسلامية والدولية، وأعربت عن ادانتها للارهاب الذي يتعرض له الشعب العراقي وعن دعمها للعملية السياسية واستكمال المؤسسات الدستورية ودعم عملية الاعمار. وأكدت اهمية دور الامم المتحدة والتعاون بينها وبين منظمة المؤتمر الاسلامي لدعم العملية السياسية في العراق.
- جامو وكشمير: أكد المؤتمر دعمه لحقوق وتطلعات شعب جامو وكشمير في تقرير المصير وفقا ً لقرارات الامم المتحدة ذات الصلة. ودعا الى احترام حقوق الانسان للشعب الكشميري كما وافق المؤتمر على توفير الدعم السياسي والدبلوماسي للممثلين الحقيقيين للشعب الكشميري في نضالهم ضد الاحتلال الاجنبي.

- الصومال: أكد المؤتمر وقوفه الى جانب الحكومة الصومالية في سعيها لاستعادة الامن واعادة الاعمار.
- أذربيجان: وجدّد المؤتمر ادانته للعدوان المستمر لجمهورية أرمينيا على سيادة جمهورية اذربيجان وسلامة اراضيها، ودعا الى الانسحاب الكامل وغير المشروط للقوات الارمينية من جميع الاراضي الاذربيجانية المحتلة.
- القبارصة الأتراك: واعرب المؤتمر عن التضامن مع الشعب القبرصي التركي المسلم وحقه المشروع، من خلال دعم الجهود في إطار الأمم المتحدة للوصول الى حلٍ شاملٍ وعادلٍ ودائمٍ لهذه القضية على اساس المساواة السياسية وكذا اتخاذ اجراءاتٍ ملموسة ً نحو حذف جميع القيود المؤدية الى عزلة الشعب القبرصي التركي.
- دعم السلام في السودان: وجدد المؤتمر ترحيبه باتفاق السلام الشامل في السودان والقرار الصادر عن القمة العاشرة بانشاء صندوقٍ لاعادة اعمار المناطق المتأثرة بالحرب في السودان وحث الدول الاعضاء على المساهمة الفعالة في الصندوق.

ثالثاً: التضامن الإسلامي: اكد المؤتمر الجدية والمصداقية في العمل الاسلامي المشترك من خلال التنفيذ العملي لقرارات المؤتمرات الاسلامية خصوصاً في ما يتعلق بتجسيد التضامن الاسلامي عند مواجهة الشدائد ، كالكوارث الطبيعية وغيرها ومواجهة التهديدات الخارجية التي تزعزع أمن أية دولة من الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي بموقفٍ موحدٍ ورفض العقوبات احادية

الجانب، كما اكد ضرورة إصلاح منظمة المؤتمر الإسلامي بغية زيادة تفعيل مؤسساتها وتنمية دورها.

رابعاً: الإرهاب: شدّد المؤتمر على إدانة الإرهاب بجميع أشكاله وصوره ورفض أي مبررٍ أو مسوغٍ له واعلن عن تضامنه مع الدول الاعضاء في المنظمة التي تعرضت وتتعرض للعمليات الارهابية، كما شدد على ضرورة تجريم كافة الممارسات الإرهابية وجميع أشكال دعمها وتمويلها والتحريض عليها، معتبرا الإرهاب ظاهرةً عالمية لا ترتبط بأي دينٍ أو جنسٍ أو لون أو بلد، وأكد على أهمية تضافر الجهود الدولية لمكافحة هذه الظاهرة والعمل على تنفيذ التوصيات الصادرة عن المؤتمر الدولي لمكافحة الإرهاب الذي عقد في الرياض عام 2005م بما في ذلك انشاء مركزٍ دولي لمكافحة الارهاب. وأكد ضرورة التمييز بين الإرهاب وبين مشروعية مقاومة الاحتلال الأجنبي التي لا تستبيح دماء المدنيين الأبرياء ودعم الجهود الرامية إلى وضع مدونة سلوكٍ دوليةٍ لمكافحة الارهاب وكذلك عقد مؤتمرٍ دولي او دورة خاصة للجمعية العامة للامم المتحدة لتأكيد التوافق الدولي على استراتيجية متكاملة لمكافحة هذه الظاهرة الخطيرة.

- ظاهرة كراهية الإسلام: أكد المؤتمر ضرورة العمل الجماعي على ابراز حقيقة الاسلام وقيمه السامية والتصدي لظاهرة كراهية الإسلام وتشويه صورته وقيمه وتدنيس الأماكن الإسلامية والعمل الفعال مع الدول والمؤسسات والمنظمات الإقليمية والدولية وحثها على تجريم هذه الظاهرة باعتبارها شكلاً من اشكال العنصرية،

وأعرب المؤتمر عن قلقه ازاء تنامي الكراهية ضد الاسلام والمسلمين في العالم وندد بالاساءة الى صورة نبي الاسلام محمد صلى الله عليه وسلم في وسائل اعلام بعض البلدان وأكد مسؤولية جميع الحكومات على ضمان الاحترام الكامل لجميع الاديان والرموز الدينية وعدم جواز استغلال حرية التعبير ذريعةً للاساءة الى الاديان.

- التعاون مع الدول غير الأعضاء بالمنظمة: شدد المؤتمر على أهمية تعزيز التعاون والحوار مع الدول غير الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي والتي توجد بها مجتمعات إسلامية وكذلك مع الممثلين الحقيقيين لهذه المجتمعات بما يحفظ حقوقها ومواصلة مراقبة اي تطورٍ عن كثب.

- حقوق الإنسان: دعا المؤتمر لدراسة إمكانية إنشاء هيئةٍ مستقلةٍ دائمةٍ لتعزيز حقوق الإنسان في الدول الأعضاء وكذلك امكانية اعداد ميثاقٍ اسلاميٍ لحقوق الانسان وفقا لما نصّ عليه إعلان القاهرة لحقوق الإنسان في الإسلام. كما دعا الى التفاعل في هذا المجال مع الامم المتحدة والمنظمات الاخرى ذات الصلة واكد اهمية تعزيز حقوق المرأة وتعليمها ورحّب بعرض تركيا استضافة المؤتمر الأول لمنظمة المؤتمر الاسلامي حول المرأة.

- الإعلام: واكد المؤتمر ضرورة قيام وسائل الإعلام في العالم الإسلامي بعرض الوجه الحقيقي المشرق لعقيدتنا الإسلامية والتعامل مع الإعلام الدولي بكيفيةٍ فعالة تحقق هذا الهدف ودعا الى تفعيل (الكومياك) واكد اهمية دعم

صندوق التضامن الرقمي لتنمية مجتمع المعلومات في البلدان الاسلامية.

خامساً: المجال الاقتصادي والاجتماعي: التعاون الاقتصادي: أكد المؤتمر أهمية الاستخدام الأمثل للموارد البشرية والطبيعية والاقتصادية المتوفرة في العالم الإسلامي والاستفادة منها في تعزيز التعاون بين دوله والعمل على تنفيذ خطة العمل الرامية إلى تطوير هذا التعاون ودراسة إمكانية إنشاء منطقة للتجارة الحرة بين الدول الأعضاء والانضمام الى الاتفاقيات والقرارات المبرمة وتنفيذها ودعم أنشطة اللجنة الدائمة للتعاون الاقتصادي والتجاري (كومسيك).

- التجارة البينية: أكد المؤتمر ضرورة تحقيق زيادةٍ كبيرةٍ في التجارة البينية بين الدول الاعضاء ورحب بإنشاء المؤسسة الإسلامية الدولية لتمويل التجارة استجابة لدعوة خادم الحرمين الشريفين في مؤتمر القمة الإسلامي العاشر داعيا إلى سرعة مباشرة هذه المؤسسة لأعمالها. كما دعا إلى زيادة رأس مال البنك الإسلامي للتنمية لتمكينه من تلبية احتياجات الدول الاعضاء وجدد المؤتمر التأكيد على حيوية دور القطاع الخاص في التنمية.

- مكافحة الأمراض والكوارث: أكد المؤتمر أهمية التعاون في مجال بناء القدرات ومكافحة الفقر والبطالة ومحو الأمية واستئصال الامراض مثل الايدز والملاريا والسل والسعي لحشد الموارد اللازمة لذلك من خلال تأسيس صندوق خاص في البنك الإسلامي وتكليف مجلس محافظي البنك بتنفيذ ذلك وعطفا على دعوة الامين العام

للامم المتحدة بخصوص القضاء على شلل الاطفال واكد اهمية دعم الجهود الدولية في هذا المجال خاصة ان الدول الاعضاء تعد من ابرز ضحايا شلل الاطفال.

- التنمية في أفريقيا: دعا المؤتمر إلى دعم التنمية في افريقيا ومبادرة (النيباد) وقرر وضع برنامجٍ خاصٍ لذلك، وأكد من جديد الالتزام بتحقيق أهداف الألفية التنموية من خلال اتخاذ التدابير الملائمة للتخفيف من وطأة الفقر في الدول الأعضاء ودعا الدول والمؤسسات الدولية التي تستطيع تقليص او إلغاء ديونها المترتبة على الدول الأعضاء أن تدرس إمكانية القيام بذلك حتى تتمكن الدول المدينة من تحقيق التنمية الاقتصادية والتخفيف من وطأة الفقر. كما شجع مبادرات الدول الأعضاء الرامية إلى تعزيز التعاون الاقتصادي مع بقية الدول الاعضاء والبلدان الاقل نمواً والبلدان منخفضة الدخل الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي.

- التكنولوجيا ونظم المعلومات: قرر المؤتمر تبني خطواتٍ واضحة ً للتنمية العلمية والتكنولوجية خاصة ما ينتج من اكتفائها الذاتي كالاستخدام السلمي لتقنية التكنولوجيا في اطار الوكالة الدولية للطاقة الذرية بغية دعم التنمية المستدامة للدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي، واكد الاجتماع اهمية القرارات والتوصيات الصادرة عن القمة العالمية لمجتمع المعلومات المنعقد في تونس ودعا الى تقليص الفجوة الرقمية بين الدول وتحقيق التقدم الحضاري المنشود. كما دعا ايضا ً للتعاون الوثيق في مجال العلوم والتكنولوجيا.

سَتَهْدف إلى نشر الوسطية المستنيرة للإسلام...

الخطة العشرية تدعو لحوار الحضارات وفقه الاختلاف وتوازن المناهج الدراسية

برنامج الخطة العشرية

للنهوض بالعالم الإسلامي

ومواجهة تحديات الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين

مكة المكرمة 2005/12/7

يسعى برنامج العمل «العشري» لمنظمة المؤتمر الإسلامي في مكة المكرمة، إلى إيجاد رؤيةٍ إسلاميةٍ واضحةٍ وجديدة، تعمل على نشر أفكار الوسطية الإسلامية المستنيرة، التي تعبر عن المفاهيم الحقيقية للإسلام، التي شابها أخيراً أفكار التطرف.

ويقترح برنامج العمل خطواتٍ «لإصلاح الخلل الفكري الذي أدى إلى التطرف» ويدعو إلى تعزيز الحوار بين الأديان، وإلى احترام المذاهب الإسلامية المعروفة «وعدم تكفير أتباعها»، وإلى العمل على النهوض بالمرأة في المجتمع المسلم «وفقاً لقيم العدالة والمساواة» وفي ما يأتي النقاط والقرارات المقترحة الخاصة بذلك، وفق ما جاء في برنامج العمل:

أولاً: الوسطية في الإسلام

- إدانة التطرف في كل صوره وأشكاله، بوصفه لا يتفق مع القيم الإنسانية، ومعالجة جذوره السياسية والاقتصادية والاجتماعية، التي من الأجدر التصدي لها بالفكر والإقناع والموعظة الحسنة.

- بذل جميع الجهود لعرض الصورة الصحيحة للإسلام بصفته دين الوسطية والاعتدال.

- اعتماد خطابٍ إسلامي معتدلٍ مقيدٍ بالزمان والمكان والأحوال، مشروحٍ بلغة العصر لتطوير المناهج التعليمية الإسلامية.

- تطوير المناهج الدينية بمدارسها المتنوعة، مع الاعتناء بمختلف المدارس الفقهية.

- تشجيع الحوار بين المذاهب الإسلامية، ومد الجسور بين المؤسسات الرسمية ومؤسسات المجتمع المدني.
- تدريس الثقافة والحضارة الإسلامية في جميع مراحل التعليم.
- نشر القيم الكونية للإسلام على المستوى العالمي.
- إصلاح الخلل الفكري السائد الذي أدى إلى التطرف، والعمل على نشر الأفكار الصحيحة عن الإسلام، خصوصاً بين أوساط الشباب، والتعريف بدور الإسلام في المجتمع المعاصر.
- توظيف الإعلام والتعليم لنشر القيم الإسلامية، وتعزيز ثقافة السلام في المدارس والمجتمعات، ما يساعد على ترسيخ قيم التسامح.
- تعزيز الحوار بين الأديان وإبراز القيم والقواسم المشتركة بينها.

ثانياً: تعدد المذاهب

تنفيذ التوصيات المتضمنة في البيان الصادر عن المؤتمر الاسلامي الدولي الذي عقد في عمان بالاردن في يوليو 2005م بشأن احترام المذاهب الاسلامية المعروفة وعدم تكفير اتباعها، والذي نص على الآتي:

إن كل من يتبع أحد المذاهب الأربعة من أهل السنة والجماعة «الحنفي، والمالكي، والشافعي، والحنبلي»، والمذهبين الشيعيين «الجعفري والزيدي»، والمذهب الأباضي، والمذهب الظاهري، فهو مسلم، ولا يجوز

تكفيره، ويحرم دمه وعرضه وماله، وأيضا لا يجوز تكفير أصحاب العقيدة الأشعرية، ومن يمارس التصوف الحقيقي، وكذلك لا يجوز تكفير أصحاب الفكر السلفي الصحيح.
كما لا يجوز تكفير أي فئة أخرى من المسلمين تؤمن بالله سبحانه وتعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم وأركان الإيمان، وتحترم أركان الإسلام، ولا تنكر معلوماً من الدين بالضرورة. إن ما يجمع بين المذاهب أكثر بكثيرٍ مما بينها من الإختلاف، فأصحاب المذاهب الثمانية متفقون على المبادئ الأساسية للاسلام.
ان الاعتراف بالمذاهب في الاسلام يعني الالتزام بمنهجية معينة في الفتاوي، فلا يجوز لأحد أن يتصدى للافتاء دون مؤهلات شخصية يحددها المذهب، ولا يجوز الإفتاء دون التقيد بمنهجية المذهب، ولا يجوز لأحد أن يدّعي الإجتهاد ويستحدث مذهبا جديدا أو يقدم فتاوى مرفوضةً تخرج المسلمين عن قواعد الشريعة وثوابتها وما استقر من مذاهبها.
- الالتزام بمبادئ الإسلام وأركانه، والتأكيد على الحوار والالتقاء بين المذاهب، بما يضمن الاعتدال والوسطية والتسامح والرحمة ومحاورة الآخر.
- الدعوة لنبذ الخلاف بين المسلمين، وإلى توحيد كلمتهم ومواقفهم، وإلى احترام بعضهم بعضاً، وإلى تعزيز التضامن بين شعوبهم ودولهم، وإلى تقوية روابط الأخوة التي تجمعهم على التحابّ في الله، وألا يتركوا مجالاً للفتنة والتدخل بينهم.

ثالثاً: مجمع الفقه الإسلامي: رؤية جديدة

- إصلاح مجمع الفقه الإسلامي ليكون مرجعية فقهية عليا للأمة الإسلامية. وفي هذا الصدد، يجب اعتماد الكفاءة والأهلية الفقهية والعلمية، باعتبارها معايير للمشاركة في عضوية المجمع.
- ضمان تولي الأمين العام للمجمع ورئيسه مهمتيهما عن طريق الانتخاب من بين أكثر فقهاء العالم الإسلامي أهليةً، لتحقيق الرؤية المرسومة في هذا الصدد، وتنفيذ النظام الأساسي للمجمع ولوائحه تنفيذاً دقيقاً. وينبغي التقيد بمعايير الجدارة العلمية في تعيين مرشحين للمناصب العليا.
- ضمان إشراك المرأة العالمة في عضوية المجمع، وفقاً لأهليتها الفقهية وكفاءتها العلمية.
- تأسيس الفتاوى على رأي الخبراء والمتخصصين من المجمع، وتمكين المجمع من تعيين باحثين متفرغين لتحسين عمله.
- تأسيس وقف للمجمع تخصّص له موارد كافية، يستفاد من ريعها في تمكين المجمع من الاضطلاع بمهامه.
- ضمان التنسيق بين هيئات الإفتاء في العالم الإسلامي، من خلال مجمع الفقه الإسلامي.
- تكليف الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي، بوضع تفاصيل تنفيذ الرؤية الجديدة الخاصة بمجمع الفقه الإسلامي.

رابعاً: محو الأمية

- اعتبار محو الأمية هدفاً استراتيجياً ملحاً، ووضع إطارٍ زمنيٍ لكل دولةٍ من الدول الأعضاء في المنظمة للقضاء على الأمية.

خامساً: التعليم العالي

- ربط استراتيجيات الدراسات الجامعية العليا بخطط التنمية الشاملة في العالم الإسلامي، وإيلاء الأولوية لدراسة العلوم والتكنولوجيا.
- إحداث زيادة كبيرة في اعتمادات الموازنة، من أجل تقديم تعليم يتميز بالجودة، وتعزيز البحث والتطوير.
- الحد من ظاهرة هجرة الأدمغة المسلمة، والسعي لاستيعاب المسلمين ذوي المؤهلات العالية داخل العالم الإسلامي.
- وضع استراتيجية شاملة للكفاءات المسلمة المهاجرة، للاستفادة منها داخل العالم الإسلامي.
- تحسين وإصلاح مؤسسات التعليم العالي ومناهجه بكيفية فعالة.
- إنشاء «صندوق اقرأ» لدعم التعليم وتحسين جودته.
- الإسهام بسخاء في الوقفين المخصصين للجامعتين العاملتين تحت رعاية منظمة المؤتمر الإسلامي في النيجر وأوغندا.

سادساً: حقوق الطفل

- ضمان استفادة جميع الأطفال من تعليمٍ ابتدائيٍ مجانيٍ وإلزاميٍ وجيد.

- تعزيز القوانين الوطنية الرامية إلى الحفاظ على حقوق الطفل، وحمايته من جميع أشكال العنف والاستغلال.
- القضاء على شلل الأطفال وغيره من الأمراض المستوطنة في العالم الإسلامي.

سابعاً: حاجات الشباب

- بذل أقصى الجهود لمعالجة مشكلة البطالة في العالم الإسلامي، ولا سيّما في أوساط الشباب، وذلك بتوفير فرص العمل المناسبة لهم.
- تدريب الشباب أكاديمياً ومهنياً وسلوكياً، من خلال المؤسسات التعليمية.
- دعوة الدول الأعضاء إلى تعزيز برامج الشباب ومنتدياتهم.

ثامناً: حقوق المرأة في العالم الإسلامي

- تعزيز القوانين الوطنية الرامية إلى النهوض بالمرأة في المجتمع المسلم، وفقاً لقيم العدالة والمساواة الإسلامية، من أجل تقدم البشرية.
- إيلاء اهتمام خاص بتعليم المرأة، وتلقيها مبادئ القراءة والكتابة.
- الدعوة إلى عقد مؤتمرٍ خاصٍ حول المرأة في العالم الإسلامي، وفقاً لقرار المؤتمر الإسلامي لوزراء الخارجية بهذا الشأن.

- تشكيل فريق عمل تابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، لإعداد وثيقةٍ شاملةٍ حول حقوق المرأة ومسؤولياتها، وفقاً للمنظور الإسلامي.

تاسعاً: الحوار بين الحضارات

- قيام منظمة المؤتمر الإسلامي بدورٍ مركزيٍ في إقامة حوارٍ بين الحضارات والثقافات.
- إنشاء فريق عمل من الدول الأعضاء في المنظمة، لبدء حوارٍ بين الحضارات.

عاشراً: التبادل الثقافي بين الدول الإسلامية

- تنفيذ برامجٍ للتبادل الثقافي بين الدول الأعضاء.
- التركيز على الثقافة باعتبارها إطاراً للتعاون بين الدول الأعضاء.
- تنفيذ برامج للترجمة بين لغات بلدان الأمة الإسلامية.

الوسطية والاعتدال

الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي

باحث وداعية إسلامي كبير،
أستاذ الدراسات الإسلامية في جامعة قطر

الإسلام منهجٌ وسط للأمة الوسط، وهو يمثل (الصراط المستقيم)، في كل مجال من المجالات، ويجسد التوازن والاعتدال في كل شيء: في العقيدة، وفي العبادة، وفي الأخلاق، وفي المعاملات والتشريعات كلها، بعيداً عن الغلوّ والتفريط.

وقد تحدثنا عن هذه (الوسطية) بشيء من التفصيل في كتابنا: (الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف) ورسالتنا: (ظاهرة الغلو في التفكير).

وتحدثنا عن (الفكر الوسطي) أو (التيار الوسطي) ومعالمه وملامحه: في عدة كتب منها: (أولويات الحركة الإسلامية) و (في فقه الأولويات) و (الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي) و (مستقبل الأصولية الإسلامية) وغيره.

حتى لاحظ بعض الدارسين: أن عدداً من عناوين كتبي يتضمن كلمة (بين) التي كثيراً ما تدل على وسط بين طرفين، مثل (الفقه الإسلامي: بين الأصالة والتجديد) (الفتوى : بين الانضباط والتسيب) (الاجتهاد: بين الانضباط والانفراط) (الثقافة الإسلامية: بين الأصالة والمعاصرة) (ثقافتنا: بين الانغلاق والانفتاح).. الخ.

وأنا الآن أسعى إلى تكوين جمعيةٍ ثقافيةٍ، أسميتها (جمعية الأمة الوسط في الفكر والثقافة) مهمتها: أن تورث (الفكر الوسطي) للأجيال الصاعدة عن طريق الدعوة والتثقيف والتعليم والتربية، بطريقةٍ مؤسسيةٍ عصرية. وأدعو الله أن يرى هذا المشروع النور قريباً.

وإنما عنيت بهذا الأمر كل هذه العناية، لأني أرى هذا الفكر أو هذا الاتجاه: هو طريق النجاة للدعوة الإسلامية،

بل للأمة الإسلامية كلها. وهو الجدير أن يمضي بها في الطريق الصحيح، الذي يوصل الى الغاية المنشودة، وهي الرقي بالأمة مادياً وروحيا، والعودة بها إلى دفة القيادة للبشرية، بما لديها من رسالةٍ ربانيةٍ إنسانيةٍ أخلاقيةٍ عالمية، متكاملةٍ متوازنة.

كما أني أرى الإعراض عن هذه الوسطية هو الهلاك بعينه، والضياع في الدين والدنيا معاً. سواء كان هذا الإعراض جنوحاً إلى جانب التسيب والانفلات، وهو جانب التفريط والتقصير، بإضاعة الصلوات، وإتباع الشهوات، والسير في ركاب شياطين الإنس والجن، وباعة الفجور، ومروجي الإلحاد والانحلال، ودعاة المادية المجحفة، والإباحية المسرفة: فهلاك هؤلاء محتم وفق سنن الله تعالى، (كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُواْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلاَداً فَاسْتَمْتَعُواْ بِخَلاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلاَقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ بِخَلاَقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُواْ أُوْلَـئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الُّدنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) - التوبة آية 69 (1).

أم كان الإعراض عن الوسطية جنوحاً إلى جانب الغلو والتنطع والتشدد، وهو جانب الإفراط أو التطرف، كما يسمونه اليوم. وهو الشائع ـ للأسف ـ بين عدد من الفصائل المنسوبة على الصحوة الإسلامية. وقد صرح الحديث النبوي بأنه سبب الهلاك للأمة، كما قال ﷺ: "إياكم والغلو في الدنيا، فإنما هلك من كان من قبلكم بالغلو في الدين" (2). وقال: "هلك المتنطّعون "قالها ثلاثاً(3). وهو لا يكرر الكلمة إلا لعظم خطر مضمونها. والمتنطعون: هم

المتشددون المتعمقون المبالغون في التزامهم بالدين بما يخرجهم عن الحد الوسط.
والخير كل الخير في التوسط والتوازن بين الغلو والتقصير، أو بين الإفراط والتفريط، او بين (الطغيان والإخسار) على حد تعبير القرآن: (وَالسَّمَاء رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ) الرحمن (4).
والطغيان: تجاوز حد الوسط، إلى جانب الغلو والإفراط، والإخسار: هو تجاوزه إلى جانب التقصير والتفريط.
والمنهج المطلوب هو (الهدي القاصد) كما عبر عنه في حديث شريف.
عن بريدة الأسلمي رضي الله عنه قال: خرجت ذات يوم لحاجة، وإذا أنا بالنبي ﷺ يمشي بين يديّ، فأخذ بيدي، فانطلقنا نمشي جميعاً، فإذا نحن بين أيدينا رجل يصلي، يكثر الركوع والسجود، فقال النبي ﷺ: أتراه يراني؟ فقلت: الله ورسوله أعلم! فترك يده من يدي، ثم جمع يديه، فجعل يصوبهما يرفعهما، ويقول: "عليكم هديا قاصدا، عليكم هديا قاصدا، عليكم هديا قاصدا! فإنه من يشاد هذا الدين يغلبه" (5).
ولا تنقل الصحوة الإسلامية المعاصرة من المراهقة إلى الرشد، إلا بتبني هذا الهدي القاصد أو هذا المنهج الوسطي، الذي لا طغيان فيه ولا إخسار.
وتتجلى هذه الوسطية في مواقف شتى، أساسها: رفض الغلو والتفريط. وهو ما وقع فيه كثير من الناس.

انحسار الوسطية في بعض الفترات:

إن بعض الإسلاميين قد انحصرت عنده الألوان الكثيرة في لونين اثنين لا ثالث لهما، هما الأبيض والأسود، وليس بينهما ألوان أخرى، مما يعرفه الناس من الألوان الأصلية والفرعية، التي لكل منهما درجاتٌ لا تكاد تحصر.

وبعض هؤلاء يكاد يحصر الألوان كلها في واحد، ويجعل الأصل في الألوان كلها وفي الحياة كلها هو: (السواد) تبعاً للمنظار الذي يرى فيه الناس الأشياء.

وبهذه النظرة السوداء المتشائمة: حدد أجوبة جاهزة لكل شيء، يطلقها كالقنبلة، ولا يبالي ما أصابت من الحياة والأحياء.

فالمجتمع جاهليٌ كله..

والحياة إثمٌ كلها..

والناس كلهم كفارٌ، أو منافقون.

والعالم كله وحوش.

وكل ما يمارسه الناس في حياتهم المعاصرة من لهوٍ وفنون: حرامٌ في حرام.

هذا مع أن سلف الأمة كانوا يتحرجون أشد الحرج، من إطلاق كلمة (الحرام) إلا على ما علم تحريمه جزماً، ولهذا نزل في ذم الخمر آيتان إحداهما في سورة البقرة (قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا) (6). والثانية في سورة النساء (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ) (7). ومع هذا ظل بعض الصحابة يشربها، وظل بعضهم يقول: اللهم

بين لنا في الخمر بيانا شافيا، حتى نزلت آية المائدة الحاسمة: (فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (8)...
يجب أن نعترف أن الفترة الماضية ــ وخصوصاً في الخمسينيات والستينيات ـ كانت مجالاً خصباً لانتشار نوع من الأفكار السوداء في الساحة الإسلامية.
فقد غلب الفكر الذي ينزع إلى الرفض والتشاؤم والاتهام، وسوء الظن بالآخرين، على اختلاف نزعاتهم واتجاهاتهم حتى المسلمين منهم.
أجل، راجت فكرة التفسيق والتبديع (9)، بل التكفير..
وساعد على ذلك: الجو الخانق الذي كانت تعيشه الحركة الإسلامية ورجالها ودعاتها، الذين نصبت لهم المشانق جهرة، أو قتلوا بأدوات التعذيب أمام الشيوعيين والعلمانيين وكل خصوم الإسلام.
في هذه المرحلة: ظهرت كتب الشهيد سيد قطب، التي تمثل المرحلة الأخيرة من تفكيره، والتي تنصح بتكفير المجتمع واتهامه بالجاهلية، وتأجيل الدعوة إلى النظام الإسلامي، والسخرية بفكرة تجديد الفقه وتطويره، وإحياء الاجتهاد وتدعو إلى العزلة الشعورية عن المجتمع، وقطع العلاقة بالآخرين، وإعلان الجهاد الهجومي على الناس كافة، والاستخفاف بدعاة التسامح والمرونة، ورميهم بالسذاجة والهزيمة النفسية أمام الحضارة الغربية.
يتجلى ذلك أوضح ما يكون في تفسير الشهيد (في ظلال القرآن) في طبعته الثانية، وفي (معالم في الطريق) ومعظمه مقتبس من (الظلال) وفي (الإسلام ومشكلات

الحضارة) وغيرها. وهذه الكتب كان لها فضلها وتأثيرها الإيجابي الكبير، كما كان لها تأثيرها السلبي.
كما ظهرت كتب المدعو له بالرحمة والمغفرة: الشيخ سعيد حوّى، وهي تتبنى نفس الفكرة، وتسير في هذا الخط ذاته.
وفي نفس الوقت: راج فقه من سميتهم: (الظاهرية الجدد)، الذين ينسبون أنفسهم أو نسبهم الناس إلى: (السلفيّة) أو بعبارة أخرى: مدرسة ابن تيمية وتلامذته، وهم كانوا أبعد الناس عن (الحرفية) والجمود على (الصورية والشكلية)، التي يستقتل هؤلاء التمسك بها. حتى كاد الإسلام يحصر في لحية طويلة، وثوب قصير، بالنسبة للرجل، ونقاب على وجه المرأة.
ونرى هؤلاء الإخوة الأفاضل يشعلون معركة في أواخر كل رمضان: ضد الذين يخرجون صدقة الفطر نقداً ويصرون على إخراجها من الحبوب والأطعمة. وإن لم ينتفع بها الفقير، لأنه لم يعد يطحن أو يعجن أو يخبز. وقد أجاز إخراج القيمة: عدد من سلف الأمة. ولهم فتاوي ومواقف كثيرة من هذا النوع.
وبهذا غلب على الفكر الإسلامي: الإعنات والتصلب، وتقهقرت روح الوسطية السمحة الميسرة الى حين. وأعتقد أن الحركة لا بد لها من التغلب على فكر المحنة، أو فكر الأزمة، لتنتقل إلى فكر العافية، ومن فكر (مدرسة الظواهر) إلى فكر (مدرسة المقاصد) ومن فكر الجنوح إلى الغلو إلى التسيب، الى الفكر الوسطي المعتدل، المعبر عن وسطية الأمة المسلمة، ووسطية المنهج الإسلامي الذي أراد الله به اليسر، ولم يرد به العسر (10).

اهتمامي بمقاومة الغلو:

لقد شغلتني قضية (الغلو الديني) ـ او التطرف الديني، كما اطلق عليها في بعض الفترات ــ باعتبارها جزءاً من (ترشيد الصحوة) وتسديد مسيرتها، حتى لا تتآكل من الدخل، أو تضرب من الخارج.

وقد الفت كتاباً خاصا، في دراسة ظاهرة الغلو والتطرف الديني، نشرته مجلة: (الأمة) ضمن كتبها الدورية، وهو الكتاب الثاني في سلسلتها، وأعنى به كتاب: (الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف) وفيه حددت مفهوم التطرف وعلاماته المميزة، كما ألقيت الضوء على أسباب التطرف الفكرية والإجتماعية والسياسية.

ثم عرضنا لسبل العلاج كما نراه، وختمنا بوصايا ونصائح ابوية للشباب الذين يتهمهم من يتهمهم بالتطرف.

ويهمني في هذا الكتاب أن أنقل ملاحظتين مهمتين حول مفهوم التطرف أو الغلو، الذي يفسره كل إتجاه بما يحلو له، وما يخدم فكرته، حتى إن بعض البلاد تعتبر من يحرص على الصلاة في المسجد: متطرفاً، ومن ترتدي الحجاب ـ أي تغطي رأسها بالخمار ـ متطرفة.

الملاحظة الأولى:

أن مقدار تدين المرء وتدين المحيط الذي يعيش فيه، من حيث القوة والضعف، له أثره في الحكم على الآخرين: بالتطرف، أو التوسط، أو التسيب.

فمن المشاهد أن من كانت جرعته من التدين قوية، وكان الوسط الذي نشأ فيه شديد الالتزام بالدين، يكون مرهف

الحس لأية مخالفةٍ او تقصيرٍ يراه، حتى إنه ليعجب أن يوجد مسلم لاحظَ له من قيام الليل، أو صيام النهار، وفي هذا ورد القول المأثور: "حسنات الأبرار، سيئات المقربين".

ويحضرني هنا ما قاله أنس بن مالك لمعاصريه من التابعين: إنكم لتعملون أعمالاً هي ادق في أعينكم من الشعر، إن كنا لنعدها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات!

وكانت عائشة رضي الله عنها، تنشد بيت لبيد بن ربيعة:

ذهب الذين عاش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجرب!

وتقول: رحم الله لبيداً، كيف لو عاش إلى زماننا هذا؟ وقد عاشت إلى عهد بني أمية، وماتت في زمن معاوية وكان ابن أختها عروة بن الزبير، وقد عاش بعدها زمناً: ينشد هذا البيت، ويقول: رحم الله لبيداً ورحم الله عائشة، كيف لو عاشا الى زماننا هذا؟!

وفي مقابل هذا: نجد الشخص الذي قلّ زاده من التدين علماً وعملاً، أو عاش في محيط تجرأ على محارم الله وتنكر لشرائعه، ويعتبر التمسك بالحد الأدنى من الدين: ضرباً من التعصب أو التشدد.

وكلما زادت مسافة البعد بينه وبين الدين: زاد استغرابه بل إنكاره، بل اتهامه لكل من يستمسك بعروة الدين، ويلجم نفسه بلجام التقوى، ويسأل في كل شيء يعرض له أو يعرض عليه: حلال هو أم حرام؟

وكثير من أولئك الذين يعيشون في أوطاننا بأسماء إسلامية، وعقولٍ غريبة، يعتبرون مجرد الالتزام بأوامر الله ونواهيه تطرفاً ً دينياً!
وكثير ممن غرته الأفكار والتقاليد الأجنبية: يعتبر الذين يتمسكون بآداب الإسلام: في المأكل، والمشرب، والملبس، والزينة ونحوها: غاية في التطرف والتعصب!
لقد رأينا من يعتبر الدعوة على تحكيم شريعة الله، وإقامة دولة الإسلام في أرض الإسلام: تطرفاً في الدين!
ورأينا من يرى الغيرة على الدين وحرماته، والأمر بالمعروف إذ ضُيع، والنهي عن المنكر إذا وقع، تطرفا في الدين، وتدخلاً في الحرية الشخصية للآخرين!
ورأينا من يرى اعتبار الآخرين من غير المؤمنين بدينه كفاراً: تعصب وتطرف، مع أن أساس الإيمان الديني يعتقد المؤمن أنه على حق، وأن مخالفيه على باطل، ولا مجاملة في هذه الحقيقة.
بل رأينا من يعتبر الحرص على الصلاة في المسجد: تطرفاً وغلو في الدين! ومن يرى لبس المسلمة الخمار على رأسها: غاية في التطرف، بل جريمة يعاقب عليها بالحرمان من دخول المدرسة والجامعة والتوظيف في مؤسسات الدولة، ودخول مستشفيات الحكومة، ولو للولادة!!

والملاحظة الثانية:
أن ليس من الإنصاف، أن نتهم إنساناً بالتطرف في دينه لمجرد انه اختار رأياً من الآراء الفقهية المتشددة، ما دام

يعتقد أنه الأصوب والأرجح، ويرى أنه ملزمٌ به شرعاً، لأنه ليس مسؤولاً إلا عمّا يراه ويعتقده هو، وإن شدّد بذلك على نفسه، بل حسبه أن يرى ذلك هو الأفضل والأروع، وإن لم يكن فرضاً ولا واجباً، إذا كانت همته لا تقف عند حد الفرائض، وإنما يتقرب إلى الله تعالى بالنوافل حتى يحبه.

ومن حقائق الحياة: أن الناس يتفاوتون في هذه القضية، فمنهم المتساهل الميسر، ومنهم المتشدد المعسر، وقد كان في الصحابة المترخص كابن عباس، والمتشدد كابن عمر رضي الله عنه.

ويكفي المسلم في هذا المقام: أن يستند رأيه الذي تبناه إلى مذهب من المذاهب المعتبرة عند المسلمين، او يعتمد على اجتهاد صحيح قائم على استدلالٍ شرعيٍ سليم، فإذا كان هناك من أئمة المذاهب المتبوعة من يقول: بوجوب إعفاء اللحية وتركها وحرمة حلقها، فهل يوصف بالتطرف من اقتنع بهذا المذهب وأخذ به، وطبقه على نفسه، لأنه خالف رأيي ورأيك ورأي زيد وعمرو من العلماء، ولا سيما المعاصرين؟ وهل من حقنا أن نصادر حق امرئٍ في ترجيح رأي على الآخر، وبخاصة أنه يتصل بحياته وسلوكه هو، لا بحياة غيره؟!

إن جمعاً غفيراً من علماء السلف والخلف، رأوا أن على المرأة المسلمة ان تستر جميع بدنها ما عدا وجهها وكفيها، فقد اعتبروهما مما استثني في قوله تعالى (وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا)(11)، وأكدوا ذلك بأحاديث

ووقائع وآثار.. ورجح ذلك كثيرون من علماء عصرنا، وأنا منهم (12).
ولكن عدداً آخر من العلماء المرموقين، ذهبوا على أن الوجه والكفين عورة يجب سترها، واستدلوا على ذلك بنصوص من القرآن والحديث والآثار، وأخذ بقولهم كثيرون من علماء هذا العصر، وخصوصاً في باكستان والهند والسعودية وأقطار الخليج، وأرسلوا نداءاتهم إلى كل فتاة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تلبس النقاب، ليستر وجهها، والقفاز ليستر يديها.
فهل تدمغ بالتطرف فتاة أو سيدة آمنت بهذا المذهب، واعتبرته جزءاً من دينها؟ أو يدمغ به رجل دعا إلى ذلك ابنته أو زوجته فاستجابت؟ وهل يحق لنا أن نجبر هذا أو ذاك أو تلك على التنازل عما يعتقده شرع الله، ونلزمه أن يبيع الجنة ويشتري النار، إرضاءً لخاطرنا، وفراراً من تهمة التطرف؟
ومثل ذلك يقال فيمن يتبني الآراء المتشددة في الغناء أو الموسيقى أو الرسم والتصوير وغيرهما، مما يخالف اجتهادي شخصياً في هذه الأمور، واجتهاد عدد من علماء العصر البارزين، ولكنه يتفق مع علماء المسلمين: متقدمين ومتأخرين ومعاصرين.
والواقع أن كثيراً مما ينكر على من نسميهم (المتطرفين)، مما قد يعتبر من التشدد والتنطع، له أصل شرعي في فقهنا وتراثنا، تبناه بعض العلماء المعاصرين، ودافعوا عنه ودعوا إليه، فاستجاب لهم من الشباب المخلص من استجاب، رجاء رحمة الله تعالى وخوفاً من عذابه، وذلك

كلبس الثوب (الجلباب) بدل القميص والبنطلون، وتقصيره إلى ما فوق الكعبين، والإمتناع عن مصافحة النساء وغيرها.

ومن هنا لا نستطيع أن ننكر على مسلم، أو نتهمه بالتطرف، لمجرد أنه شدد على نفسه، وأخذ من الآراء الفقهية بما يراه ارضى لربه، وأسلم لدينه، وأحوط لآخرته.

وليس من حقنا أن نجبره على التنازل على رأيه، ونطالبه بسلوكٍ يخالف ما يعتقده ويدين الله به، كل ما نملكه: أن ندعوه بالحكمة، ونحاوره بالحسنى، ونقنعه بالدليل، عسى أن يدخل فيما نراه أهدى سبيلاً، وأقوم قيلا (13).

مظاهر الغلو ودلائله:

فما التطرف او الغلوّ إذن، وما دلائله ومظاهره؟

استطيع ان أذكر هنا عدة دلائل ومظاهر أساسية تنبئ عن الغلو أو التطرف:

1. عدم الإعتراف بالرأي الآخر:

إن أولى دلائل الغلو أو التطرف: هي التعصب للرأي تعصبا، لا يعترف معه للآخرين بوجود، وجمود الشخص على فهمه جموداً لا يسمح له برؤية واضحة لمصالح الخلق، ولا مقاصد الشرع، ولا ظروف العصر، ولا يفتح نافذة للحوار مع الآخرين، وموازنة ما عنده بما عندهم والأخذ بما يراه بعد ذلك أنصع برهانا، وأرجح ميزانا.

ونحن هنا: ننكر على صاحب هذا الاتجاه ما أنكرناه على خصومه ومتهميه، وهو محاولة الحجر على آراء المخالفين وإلغائها.

أجـل، إننـا ننكـر عليـه حقـاً، إذا أنكـر الآراء المخالفـة ووجهات النظر الأخرى، وزعم أنه وحده على الحق، ومن عداه على الضلال، واتهم من خالفه في الرأي بالجهل واتباع الهوى، ومن خالفه في السلوك: بالفسوق والعصيان، كأنـه جعل من نفسه نبياً معصوماً، ومن قوله وحياً يوحي!

2. إلزام جمهور الناس بالعزائم والتشدد:

ومن دلائل الغلو: الغفلة عن تفاوت الناس، وأن فيهم الضعيف والقوي، وأخذهم جميعا بالعزائم والشدائد، مع عدم رعاية ظروفهم في هذا العصر، الذي لا يعين أهله على حسن الالتزام.

وقد قبل الرسول من بعض الناس: الالتزام بالفرائض وحدها، لا يزيد عنها ولا ينقص، وقال: افلح عن صدق، أو دخل الجنة عن صدق.

بل جعل الصلوات الخمس، والجمعة الى الجمعة، ورمضان الى رمضان: مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر.

بل القرآن يدل على أن مجرد اجتناب الكبائر يكفر الصغائر (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما) (14)..

ولهذا قلت: إن بحسبنا في هذا الزمن من المسلم: أن يؤدي الفرائض، ويبتعد عن الكبائر، لنعتبره في صف الإسلام وأنصاره.

3- التشديد في غير محله:

ومن مظاهر الغلو: استصحاب التشديد في غير مكانه وزمانه، كأن يكون في غير دار الإسلام، وبلاده الأصليه، أو مع قوم حديثي عهد بالإسلام، أو حديثي عهدٍ بتوبة.
فهؤلاء ينبغي التساهل معهم في المسائل الفرعية، والأمور الخلافية، والتركيز معهم على الأصول قبل الفروع، والكليات قبل الجزئيات، وأخذهم بالتدرج الحكيم، كما تدرج الإسلام مع أهل الجاهلية في فرض الفرائض، وفي تحريم المحرمات.
ولقد رأيت الأخوة الذين ذهبوا الى البوسنة والهرسك، وغيرها من البلاد التي رزحت تحت الحكم الشيوعي طويلاً، يطالبونهم أول ما يطالبونهم: أن يلتحي الرجال، وتتنقب النساء!
ورأيت آخرين: يقيمون معارك في أمريكا وأوروبا، من أجل قضايا خلافيةٍ لا تستحق مثل هده الضجة، لو كانوا يعلمون.

4- الغلظة والخشونة:

ومن دلائل الغلو: الخشونة في الدعوة، والغلظة في الأسلوب، والفظاظة في التعامل، على خلاف ما دعا اليه القرآن والسنة، من انتهاج الرفق واللين والرحمة في دعوة الناس ومعاملتهم، وقد خاطب الله تعالى رسوله فقال: (فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك) (15).. ذلك لأن الناس لا يطيقون الفظ والغليظ، ولو كان هو رسول الله المؤيد بالوحي، فكيف بغيره من الناس؟

إن آفة كثيرٍ من أبناء الصحوة: أنهم يتعاملون مع أقاربهم وجيرانهم، بل مع آبائهم وأمهاتهم بخشونةٍ وعنف، وأنهم يجادلون مخالفيهم بالتي هي أخشن، لا بالتي هي أحسن، كما أمر الله، ولذلك ينفرّون ولا يبشّرون.

5 - سوء الظن بالناس:

ومن دلائل الغلو كذلك: سوء الظن بالناس، وقد حذر الله ورسوله منه، فقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم) (16). وفي الصحيح:"إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث" متفق عليه عن أبي هريرة.

وأصل هذا كله: هو الغرور والإعجاب بالذات، والإزدراء للغير، وهذه أول معصية ظهرت في الأرض، وهي معصية إبليس، حين تمرد على السجود لآدم، ورفض أمر ربه، وقال: أنا خير منه.

وفي الحديث:"بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم" (17).

وفيه:" إذا سمعتم الرجل يقول: هلك الناس، فهو أهلكهم" (18).

روي بفتح الكاف على أنه فعل ماضٍ، أي هو أهلكهم، أي تسبب في هلاكهم بعجبه بنفسه، وسوء ظنه بهم، وتيئيسهم من روح الله تعالى.

كما روي بضم الكاف، أي فهو أشدهم هلاكا بغروره بنفسه، وسوء ظنه بالناس، واتهامه لهم واستعلائه عليهم.

6- السقوط من هاوية التكفير:

ويبلغ هذا الغلو غايته، حين يسقط في هاوية (التكفير)، ويري نفسه ومن على شاكلته: هو المسلم، وسائر المسلمين من حوله: كفارا، إما لأنهم مرقوا من الإسلام وارتدوا عنه بسوء أعمالهم ومعاصيهم، التي تخرجهم من الملة في رأيه، وإما لأنهم لم يدخلوا في الإسلام أصلاً، كما يقول بعضهم، لأنهم لم يفهموا مدلول (لا إله إلا الله).

وهذا ما سقط فيه الخوارج قديماً، وما وقعت فيه جماعات التكفير حديثاً، فهم يكفرون الحكام ، ويكفرون العلماء، لأنهم موظفون في دولة الحكام، ويكفرون الجماهير، لأنهم سكتوا على كفر الحكام، فالتفكير عندهم بالجملة، وهو أمر خطير لأنه يترتب عليه استحلال الدماء والأموال (19)، وقد أصدرت من قديم رسالتي: (ظاهرة الغلو في التكفير) لمقاومة هذه الموجة الطاغية المدمرة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

مقاومة التفريط والتسيب أيضاً:

وكما يجب علينا مقاومة تيار الغلو والتطرف، والتحذير منه، فإن علينا أن نقاوم تيار التفريط والتقصير والتسيب، والتحذير منه أيضاً، وكما قال السلف: يضيع هذا الدين بين الغالي فيه والجافي عنه,

ولهذا ألفت كتابي: (الفتوى بين الانضباط والتسيب) محذرا ً من الذين يفتون بغير علم، ويقولون على الله ما لا يعلمون، أو الذين يصدرون فتواهم، اتباعا لهوى النفس، أو أهواء الغير، سواءً كان هؤلاء الغير حكاماً وأمراء يرجون ويخشون، أم كانوا من الجماهير: الذين يلتمس كثير من

الناس رضاهم وكسب ثنائهم، وفي رأيي: السعي لإرضاء الجمهور أشد خطراً من العمل لإرضاء الحكام.
كما أصدرت كتابي: (الاجتهاد بين الانضباط والانفراط) محذراً من الاجتهاد غير المنضبط بضوابط الشرع، وهو الذي لا يصدر من أهله في محله، وأهله هم الذين استكملوا شروط الاجتهاد وأدواته، التي أصلها وفصلَّها الأصوليون في كتبهم، وبينتها في كتابنا (الاجتهاد في الشريعة الإسلامية) وهي: المعرفة الناضجة بالقرآن وعلومه،والسنة وعلومها، والرسوخ في اللغة العربية وتذوقها ومعرفة دلالاتها الإفرادية والتركيبية، ومعرفة المجمع عليه والمختلف فيه، ومعرفة أصول الفقه ولا سيما القياس وعلته وشروطه، وممارسة الفقه والغوص فيه حتى تكون له ملكة الفقيه، ومعرفة الناس والحياة والعصر، والإلمام بثقافته، حتى يتمكن من معرفة الواقع، ويمكنه أنم يحكم له أو عليه.
وقد حذرت من مزالق الاجتهاد، وضربت له أمثله، كما وضعت المعالم اللازمة لاجتهاد معاصر قويم.
إننا نحذر هنا: من تيارات الانفراط والتسيب التي تريد أن تذيب الأمة المسلمة في غيرها، وأن تتخلى عن هويتها ومقاوتها وخصائصها، وتسير وراء الأمم القوية في الأرض، وتتبنى حضارتها بخيرها وشرها، وحلوها ومرها، كما قيل، وأن تتبع سننها شبراً بشبر، وذراعا بذراع.
ونحن نريد: أن نبقي على الأمة ذاتيتها وتميزها، ومقتبسين من غيرنا أفضل ما عنده: من الآليات والتقنيات ونحوها

من المباحات، مما لا يؤثر على عقائدنا ولا على قيمنا، ولا على محكمات شرائعنا، وأساسيات سلوكنا.
وإن كنا لا نركز هنا كثيرا على قضية التفريط أو التسيب، لأنها ليست من أمراض الصحوة لكن من أمراضها وآفاتها: ركوب متن الغلو والتطرف، الذي افترس بعض فصائلها التي ركبت الشطط، وارتكبت الغلط، والخير كل الخير في الوسط.

معالم تيار الوسطية:

ولقد سألني عدد من الإخوة عن: (المعالم المميزة) لتيار الوسطية، الذي عرفت به، ودعوت إليه، ولا زلت أدعو إليه، وأؤمن بأنه: المخلص والملاذ للأمة من تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.
وقد ذكرت هذه المعالم مجملة مركزة في بعض الأحيان، ومبينه مفصلة في أحيان أخرى، ولا بأس أن أجمع بين النهجين هنا، فأوجز هذه المعالم، ثم أبينها بما يتسع له المقام.

معالم الفكر الوسطي بإيجاز:

تتميز وسطية هذا الفكر: في موقفه المعتدل من قضايا كبيرة مهمة:
فهو وسط بين دعاة المذهبية الضيقة، ودعاة اللامذهبية المنفرطة.
وسط بين أتباع التصوف وإن انحرف وابتدع، وأعداء التصوف، وإن التزم واتبع.
وسط بين دعاة الانفتاح على العالم بلا ضوابط، ودعاة الانغلاق على النفس بلا مبرر.

وسط بين المحكّمين للعقل: وإن خالف النص القاطع، والمغيبين للعقل: ولو في فهم النص.
وسط بين المقدسين للتراث، وإن بدا فيه قصور البشر، والملغين للتراث، وإن تجلت فيه روائع الهداية.
وسط بين المستغرقين في السياسة على حساب التربية. والمهملين للسياسة كليةً بدعوى التربية.
وسط بين المستعجلين لقطف الثمرة قبل أوانها، والغافلين عنها حتى تسقط في أيدي غيرهم بعد نضجها.
وسط بين المسترقين في الحاضر الغائبين عن المستقبل، والمبالغين في التنبؤ بالمستقبل كأنه كتاب يقرؤونه.
وسط بين المقدسين للأشكال التنظيمية كأنها أوثانٌ تعبد، والمتحللين من أي عملٍ منظم كأنه كتاب حبات عقدٍ منفرط.
وسط بين الغلاة في طاعة الفرد: للشيخ والقائد كأنه الميت بين يدي الغاسل، والمسرفين في تحرره كأنه ليس عضواً في جماعة.
وسط بين الدعاة إلى العالمية دون رعاية للظروف والملابسات المحلية، والدعاة إلى الإقليمية الضيقة دون أدنى ارتباطٍ بالحركة العالمية.
وسط بين المسرفين في التفاؤل متجاهلين العوائق والمخاطر، والمسرفين في التشاؤم فلا يرون إلا الظلام، ولا يرقبون للظلام فجرا.
وسط بين المغالين في التحريم كأنه لا يوجد في الدنيا شيء حلال، والمبالغين في التحليل كأنه لا يوجد في الدين شيء حرام.

وسط بين الذين ينكرون الإلهام مطلقا، فلا يعترفون بوجوده، ولا بأثره.. والذين يبالغون في الإعتداد به، حتى جعلوه مصدراً للأحكام الشرعية.
وسط بين التشدد ولو في الفروع والجزئيات.. ودعاة التساهل ولو في الأصول والكليات.
وسط بين فلسفة المثاليين الذين لا يكادون يهتمون بالواقع.. وفلسفة الواقعيين الذي لا يؤمنون بالمثل العليا.
وسط بين دعاة الفلسفة "الليبرالية" التي تعطي الفرد وتضخمه على حساب المجتمع.. ودعاة الفلسفة الجماعية "الماركسية" التي تعطي المجتمع وتضخمه على حساب الفرد.
وسط بين دعاة الثبات ولو في الوسائل والآلات.. ودعاة التطور ولو في المبادئ والغايات.
وسط بين دعاة التجديد والاجتهاد وإن كان في أصول الدين وقطعياته.. ودعاة التقليد وخصوم الاجتهاد وإن كان في قضايا العصر التي لم تخطر ببال السابقين.
وسط بين الذين يهملون النصوص الثابتة بدعوى مراعاة مقاصد الشريعة.. والذين يغفلون المقاصد الكلية باسم مراعاة النصوص.
وسط بين دعاة الغلو في التكفير حتى كفّروا كل المسلمين المتدينين.. والمتساهلين فيه ولو مع صرحاء المرتدين.
هذه هي الوسطية التي تبناها هذا الفكر، وإن كان الغالب على مجتمعاتنا اليوم: السقوط بين طرفي الإفراط والتفريط إلا من رحم ربك، وقليل ما هم.

المعالم الأساسية لتيار الوسطية:

لتيار الوسطية معالم أساسية: يحسن بنا أن نذكرها هنا، حتى يستبين هذا التيار لأصحابه أولاً، ولمن يريد أن يعرفه ثانياً، ليتميز من تيار الغلو، وتيار التسيب.
وقد قال تعالى (وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين) (20).
فإذا كانت استبانة سبيل المجرمين مطلوبة، فكذلك استبانة سبيل أهل الحق، حتى يتبين الرشد من الغي.
وسبل أهل الحق يتمثّل فيهاما سمّاه القرآن: (الصراط المستقيم)، وقال علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه: عليكم بالنمط الأوسط الذي يلحق به التالي، ويرد إليه الغالي.
وأهم هذه المعالم هي:

1- تبني التيسير والتبشير:

من معالم "الفكر الوسطي" البارزة: أنه يتبنى التيسير والتبشير، التيسير في الفقه والفتوى، والتبشير في الدعوة والتوجيه، كما شرحناه من قبل، في محور سابق.
في حين يتبنى تيار الغلو: التعسير والتنفير أبداً، منهجه التشديد والتعسير في الفتوى والأحكام، في العبادات أو في المعاملات، للأفراد أو للجماعات، وكذلك التخويف والترهيب في الدعوة، فهو يسوق الناس الى الله، بسياط الخوف والرهبة، أكثر مما يقودهم إليه: بزمام الرحمة والمحبة.
والتيسير الذي نركز عليه هنا هو: التيسير في الفروع، على حين يتشدد تيار الوسطية في الأصول (أي الثوابت)، ولا يتهاون فيها، وبهذا نرى أن الوسطية أبدا ملازمة

للتيسير والتبشير، وكل من يتبنى المنهج الوسط: تبنى معه ـ لا محالة ـ منهج التيسير والتبشير.
وهو ما وفقني الله إلى اتباعه، عملاً بالمنهج النبوي، الذي دعا إليه الرسول الكريم قولاً، وطبقه عملاً، فكان أكثر الناس تيسيراً في فتاويه، وأعظم الناس تبشيراً بدعوته.
وينكر النبي ﷺ على من أفتى بعض أصحابه بوجوب الاغتسال من الجنابة وبه جراحة، فتفاقم عليه الجرح حتى مات، فقال عليه الصلاة والسلام "قتلوه قتلهم الله! هلا سألوا إذ لم يعلموا، فإنما شفاء العيّ: السؤال، إنما كان يكفيه أن يتيمم" (21).
وكان من أوصافه عليه الصلاة والسلام: أنه ما خير بين الأمرين إلا اختار أيسرهما، ما لم يكن إثماً (22).
والناس في عصرنا: أشد حاجة إلى التيسير من أي عصر مضى، لغربة الدين، وقلة اليقين، وكثرة المغريات بالشر، والعوائق عن الخير. فليزم الفقيه والداعية أن يقود الناس إلى طاعة الله، وأداء فرائضه بالتيسير عليهم.
وليس معنى التيسير: أن نفسر النصوص قسراً على التيسير، فهذا مالا نقصده قطعاً، ولكن المقصود: أن نتبنى من الآراء والأقوال ما هو أرفق بالناس، وما يخفف عنهم. فلو كان هناك قولان متكافئان أو: أحدهما أحوط والآخر أيسر: أفتينا عموم الناس بالأيسر.
وأما التبشير، فإني أرى كثيراً من الدعاة في عصرنا يغلبون جانب الترهيب على الترغيب، والتخويف، على الترجية، ويسوقون الناس إلى الله بعصا الخوف، بدل أن يحركوهم بزمام الرجاء.

وقد شكا إليّ بعض الآباء المثقفين: أن ابنته أمست ـ منذ مدة ـ تقوم من النوم فزعة، من رؤى مخيفة تراها في نومها. وذلك بعد أن سمعت شريطاً عن (عذاب القبر) لبعض الوعاظ، يشتمل على كثير من (التخويفات) التي نراها في الغالب تعتمد على أحاديث ضعيفة، وربما كانت شديدة الضعف أو موضوعة.

ومن يقرأ القرآن الكريم لا يجد فيه هذه المبالغات، بل يجده يمزج الخوف بالرجاء، والرهب بالرغب، والوعيد بالوعد، والبطش بالرحمة، مزجاً رائعاً متوازناً.

اقرأ قوله تعالى: (اعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (23).

(وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلاَتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ) (24)

(غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ) (25).

(إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ * إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ * وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ) (26).

(وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ) (27)

(نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَ أَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمَ) (28).

وفي هذه الآية نجد أنه تعالى جعل المغفرة والرحمة من أسمائه، والعذاب من أفعاله لا من أسمائه.

ولهذا: كانت بدايات الفاتحة، وسور القرآن: (بسم الله الرحمن الرحيم) لإشاعة جو الرحمة لا جو البطش والقهر (29).

2- الجمع بين السلفية والتجدد:

وثاني خصائص تيار الوسطية: أنه يجمع بين السلفية والتجديد أو بين الأصالة المعاصرة كما يقال اليوم.

فالسلفية تعني: العودة إلى الأصول، إلى الجذور، إلى المنابع، وهي تتمثل في العودة: إلى القرآن والسنة.

والتجديد يعني: المعايشة للعصر، والمواكبة للتطور، والتحرر من إسار الجمود والتقليد.

ولا بد من إلقاء شيء من الضوء على هذين المفهومين: السلفية والتجدد.

فكثيراً ما نفهم خطأ، حيث يحسب أنها العودة إلى الماضي بإطلاق، ولو كان ماضي عصور التخلف والانحراف والجمود.

وكان المصطلح الإسلامي لا يجعل (السلفِ) مطلق الماضين، بل السلف هم أهل القرون الأولى، خير قرون هذه الأمة، وأقربها إلى تمثيل الإسلام: فهماً وإيماناً وسلوكاً والتزاماً، ومن عدا هؤلاء يسمون (الخلف).

وليس معنى العودة الى ما كان عليه السلف: أن نكون نسخاً (كربونية) لهم. بل المهم أن نتمثّل منهجهم وروحهم في فهمهم وسلوكهم، وتعاملهم مع الدين والحياة.

ومن الخطأ الذي يجب تصحيحه هنا: اعتبار الرسول المؤيد بوحي الله من جملة (السلف)، واعتبار الإسلام كله من جملة (الماضي)!!

وهذا خلط شائن بين المفاهيم، او تحريف للكلام عن مواضعه عمدا.
إن الإسلام ليس ماضياً انقضى وانتهى زمنه، نحاول أن نستعيده. إن الإسلام هو الماضي، وهو الحاضر، وهو المستقبل، والقرآن هو كلمات الله الهادية الباقية على طول الزمان وامتداد المكان.
وربما يستبعد كثير من الناس أن يرحب الدين بالتجديد، فالدين عندهم يمثل القديم الذي لا يتجدد ولا يتطور.
وأؤكد هنا بكل صراحة: أن نبي الإسلام نفسه هو الذي علمنا أن الدين يتجدد، وأن الله يهيء له مجددين بين حين وآخر، وذلك في الحديث الذي رواه أبو داود في سننه، والحاكم في مستدركه، وغيرهما، أنه ﷺ قال: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها" (30).
وإذا صرح الرسول الكريم بتجديد الدين، فلا يحق لزيد أو عمرو من الناس اليوم أن يقول: إن الدين لا يقبل التجديد، فليس هو أعرف بالدين ممن بعثه الله به. لكن المهم هو تحديد مفهوم التجديد ومجاله وحدوده.
وقد يحسب بعض الناس أن هناك تعارضاً حتمياً بين السلفية والتجديد. فالسلفية الرجوع إلى الماضي، ولتجديد انطلاق إلى المستقبل.
ورأيي عكس تماماً، أي أن هناك تلازماً بين السلفية الحقيقية والتجديد الحقيقي. فروح السلفية هو التجديد. وكلما رجعنا إلى العهود الأولى: عهود الصحابة والتابعين وأتباعهم، وجدنا المرونة واليسر والتسامح، وسعة الأفق

في فهم نصوص الدين ومصالح الدنيا، وفي التوفيق بين النصوص الجزئية والمقاصد الكلية.
وكلما تدرجنا ـ تنازلياً ـ من عصر إلى عصر، بعدنا عن المرونة والتيسير والتجديد، ودخلنا في دائرة (الأحوط) بدل دائرة (الأيسر)، وجنحنا إلى الظواهر أكثر من ميلنا إلى المقاصد، حتى إذا انتهينا إلى العصور المتأخرة، وجدنا الجمود والتقليد، والوقوف عند أقوال المتقدمين، الذين نهوا عن تقليدهم، واتخاذ أقوالهم واجتهاداتهم شرعاً يتبع، وديناً يطاع.
بل أكثر من ذلك: أنهم اتبعوا أقوال المتأخرين، الذين يمثلون عصور التخلف والتراجع الحضاري عند المسلمين، فأصبحت كتبهم هي المراجع المعتمدة، وأراؤهم هي التي تحسم الخلاف.
مفهوم التجديد:
أما التجديد: فهو لا ينافي السلفية، والتجديد الحقيقي لأمر ما لا يعني إلغاؤه، واستحداث شيء جديد مكانه، بل يعني العودة به إلى ما كان عليه يوم إنشاءه وظهوره لأول مرة. كما نعمل في تجديد أي مبنى أثري عريق.
وكذلك (تجديد الدين): أن نحافظ على جوهره ومعالمه، وخصائصه، ومقوماته، ونعود به إلى ما كان عليه يوم ظهوره، وبزوغ فجره على عهد رسول الله ﷺ وخلفائه الراشدين.
التجديد الحق يعني العودة الى (الإسلام الأول)، قبل أن تشوبه بدع المبتدعين، وتضييقات المتشددين، وتحريفات

الغالين، وانتحالات المبطلين، وتأويلات الجاهلين، وعدوى التشويه التي أصابت الملل والنحل من قبل.
و(الإسلام الأول): هو إسلام النقاء والسهولة في العقيدة، وإسلام الإخلاص واليسر في العبادة وإسلام الطهارة والاستقامة في الأخلاق، وإسلام الوضوح والتجديد في الفكر، وإسلام الاجتهاد والمرونة في التشريع، وإسلام الوسطية بين الفرد والمجتمع.
المهم هنا: ألا نجمد وننغلق، فتجمد الحياة معنا، ونظلم ديننا وأنفسنا، وألا ننفرط ونتسيب، فنضيع هويتنا وخصائصنا، ونذوب في غيرنا، فالاجتهاد اليوم فريضة وضرورة: فريضة يوجبها الدين، وضرورة يحتمها الواقع.
على أن من اللازم: أن يكون الاجتهاد من أهله في محله، لا ان يفتح بابه لكل داعٍ يقول على الله مالا يعلم، ولا أن يدعي الاجتهاد في (المنطقة المنغلقة) منطقة (الثوابت) التي لا تقبل الاجتهاد، والتي تحفظ الأمة من التفكك والذوبان.
الخلاصة: أن التجديد الحق لا يكون إلا سلفيا، والسلفية الحقة لا تكون إلا مجددة.

نحو فقه جديد:

ومن أهم عناصر التجديد لديننا وأمتنا، هو: ما دعوت إليه في كتبي (31). ومحاضراتي في شتى المحافل، فقد دعوت وألححت في الدعوة إلى "فقه جديد" يتبناه الدعاة الصادقون، والعلماء المصلحون، وتتبناه الحركة الإسلامية العالمية، المعبرة عن آمال الأمة الإسلامية.
ولم أقصد بكلمة "الفقه" المعنى الاصطلاحي المعروف عند المسلمين، والذي ألفت فيه الكتب، وتأسست عليه المذاهب،

وأنشئت له كليات، وأقيمت له مجامع، وهو: العلم بالأحكام الشرعية العلمية من أدلتها التفصيلية، فهذا الفقه موجود، وإن كان يحتاج إلى تجديد وإحياء وتطوير، حتى يكون "فقهياً ميسراً معاصراً" يفي بحاجات الأمة، ومطالب حياتها المتجددة.

وكلن الفقه الذي عنيته: يشمل تجديد هذا الفقه، كما يشمل الفقه بالمفهوم القرآني، الذي نفاه القرآن عن المشركين وعن المنافقين، فوصفهم بأنهم قوم (لا يفقهون)، وجاء ذلك في القرآن المكي قبل أن نشرع الأحكام العملية، التي هي موضوع الفقه الاصطلاحي.

ويشمل هذا الفقه فيما يشمل: فقه السنن، أعني قوانين الله في الكون والمجتمع، وهي قوانين ثابتة، لا تجامل أحداً، ولا تلين لأحد، فلن تجد لسنة الله تبديلاً، ولن تجد لسنة الله تحويلا.

وكذلك "فقه الموازنات" بين المصالح بعضها وبعض، وبين المضار والمفاسد بعضها وبعض، وبين المصالح والمفاسد إذا تعارضتا، ما هي الموازين التي يجب الرجوع إليها في التقدير والترجيح؟

وكذلك "فقه الأولويات" وأعني به: وضع كل عمل في مرتبته، فلا نصغر الكبير، ولا نكبر الصغير، ولا نقدم ما حقه التأخير، ولا نؤخر ما حقه التقديم، وقد وقع المسلمون في خلل خطير إزاء هذا الفقه، ترتب عليه مفاسد كثيرة، وضاعت من أجل ذلك مصالح كبيرة، وقد نشرت في هذا كتاباً بهذا العنوان "في فقه الأوليات".

ومثل ذلك "فقه المقاصد" ، فلا ينبغي أن نتمسك بالظواهر، ونغفل المقاصد والأسرار التي يقصد إليها الشرع من وراء هذه النصوص والأحكام، وهذا هو ما جاء فيه الحديث الصحيح: "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين" (32).

وليس معنى ذلك: إهمال النصوص الجزئية، كما يزعم بعض دعاة التجديد، بل المقصود الموازنة بين النصوص الجزئية والمقاصد الكلية، بحيث تفهم النصوص في ضوء المقاصد، والجزئيات في ضوء الكليات.

ومن ذلك: "فقه الاختلاف" فقد خلق الله الناس مختلفين، حين منحهم العقل والإرادة وابتلاهم بالتكليف: (وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً)، ولا يزالون مختلفين. إلا من رحم ربك، ولذلك خلقهم (33).

قال المفسرون: أي، للاختلاف خلقهم، فلا بد أن نتعلم كيف تختلف أراؤنا، ولا تختلف قلوبنا وقد تحدثت عن هذا الموضوع في كتابي: "كيف نتعامل مع التراث والتمذهب"؟.

وقبل ذلك كله: لا بد من (فقه الواقع) الذي نعيشه، ونعاني مشكلاته، ونحاول أن نعالجها من صيدلية الإسلام لا من خارجه.

3- المصالحة بين السلفية والتصوف:

من معالم الوسطية التي ندعو اليها: أن نعقد صلحا بين السلفيّة والصوفية, فنأخذ من كل من المدرستين: خير ما عندها, ونخرج من بينهما مزيجا نافعاً, كما تفعل النحلة, حين تأكل من كل الثمرات, سالكة سبل ربها ذللا. ليخرج من هذا وذاك شراب مختلف ألوانه, فيه شفاء للناس.

وهذا ما نعبر عنه أحيانا بالعمل على (تصويف) السلفية, و(تسليف) الصوفية, فنحن في حاجة الى سلفية متصوفة, أو الى صوفية متسلفة.
فان بعض السلفيين الأقحاح, تنقصهم دفقة روحانية, وشحنة ربانية, ترطب قلوبهم من الجفاف, وترفق مشاعرهم وعواطفهم, وتحيي وجدانيات الإيمان في أنفسهم، من الرجاء والخوف والحياء والحب والشوق، والأنس، والرضا، وهو ما يسميه الصوفية (الأحوال) أو (المنازل) أو (المقامات) وكتب فيه شيخ الإسلام "ابن تيمية" رسالته "التحفة العراقية في الأعمال القلبية"، وكتب فيه "ابن القيم" وأطال النفس في عدد من كتبه .
والصوفية هم فرسان الميدان في هذا الجانب، فليؤخذ عنهم. عن طريق كتب المعتدلين منهم، والمصاحبة للصادقين من رجالهم، فإن التربية بالأسوة والحال : أبلغ من التربية بالخطبة والمقال.
كما أن بعض الصوفيين: تنقصهم دقة الانضباط، بما كان عليه سلف الأمة، من تحرّ للوقوف عند نصوص الشرع وحدوده، في العبادات والمعاملات والأدب، فلا غرو أن يتسرب إليهم بعض الشركيات في العقيدة، والمبتدعات في العبادة، والتجاوزات في الأفكار، والسلبيات في التربية والأخلاق.

4- الاعتدال بين الظاهرية والمؤولة:

ومن معالم الوسطيّة: الإعتدال والتوازن بين الجمود على ظاهر النص من ناحية، والتوسع في التأويل من ناحية أخرى، بلا مسوغ، ولا ضابط.

ومقتضى هذا: فقدان التفقه بدلالات الألفاظ، ووظيفة اللغة.
وقد تحدثنا عن (سوء التأويل) باعتباره أحد المزالق الخطيرة في تفسير القرآن في كتابنا (كيف نتعامل مع القرآن؟) ونحن نريد الموقف الوسط.
فنحن نجد من يرفض أي فهم جديد لآية من كتاب الله تعالى، أو لحديث من أحاديث رسول الله (ص)، ولو كان هذا الفهم مما تؤيده اللغة، ويقتضيه السياق، ويتفق مع روح الإسلام، ولا يخالف نصاً ثابتاً، ولا قاعدةً شرعية.
كل عيبه: أنه جديد: لم ينص عليه واحد من المفسرين للقرآن أو الشراح للحديث، أو المستنبطين من علماء الفقه.
ونجد في مقابل هؤلاء: من يفتح الباب لتأويلات بعيدة، وتفسيرات متعسفة، أشبه بتأويلات "الباطنية" الذين حرفوا الكلم عن مواضعه، وبدلوا كلام الله، وأخرجوه عما أريد به إلى معانٍ وضعوها ما أنزله الله بها من سلطان.
فنجد من يقول في تفسير قوله تعالى: (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدةوخلق منها زوجها)(34) النفس الواحدة هي الإلكترون، وزوجها هو البروتون، ومنهما كانت الذرة التي هي أساس الكون، ولو قرأ تكملة الآية لوجدها ترد عليه اعتسافه, وذلك قوله تعالى:(وبث منهما رجالا ونساء) أو في قوله تعالى:(وإذا أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون)(35) إن هذه الدابة: هي الصواريخ التي تحمل الأقمار الصناعية وسفن الفضاء إلى الكواكب!

وآخر يقول في آيات الحدود, مثل قوله تعالى:(والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم)(36)

إن الأمر بالقطع هنا للإباحة لا للوجوب, هذا مع أن الأصل في الأمر القرآني أنه للوجوب إلا إذا صرفته عن ذلك قرينة مانعة. وهنا كل القرائن تدل على الوجوب المؤكد. ويكفي في ذلك تمام الآية نفسها:(جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم).

ويؤيد ذلك ما صح واستفاض من الأحاديث النبوية المؤكدة لهذا المعنى مثل قوله عليه الصلاة والسلام:"أتشفع في حد من حدود الله يا أسامة؟! إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف: تركوه, وإذا سرق فيهم الضعيف: أقاموا عليه الحد. وايم الله, لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها" متفق عليه.

ولقد بلغت التأويلات بل التحريفات الباطنية مداها في كتاب المهندس السوري محمد شحرور، الذي ادعى على القرآن – من المعاني – مالا يوافقه نقل ولا عقل، وما يناقض ما أجمعت عليه الأمة طوال عصورها, فهو يأتي بدين جديد غير دين الأمة المسلمة, التي عرفته بطريق التواتر اليقيني جيلا بعد جيل. كأن الرسول لم يبين للناس ما نزل إليهم, وكأن الصحابة الذين شاهدوا تنزيل القرآن, لم يفهموه ولم يطبقوه في حياتهم,وكأن القرون الأولى- وهي خير من قرون الأمة-لم يقولوا شيئا في القرآن, حتى يأتي رجل غير متخصص يلغي تراث الأمة كله, ويبدأ من الصفر, ليقرأ

القرآن من جديد قراءة معاصرة, تبعا لهواه (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله)(37).

5 – الموازنة بين الثوابت والمتغيرات:

ومن خصائص تيار الوسطية الإسلامية: الموازنة العادلة بين الثوابت والمتغيرات في الإسلام, وتحديد ذلك بوضوح: حتى لا تختلط الأمور, وتذوب الحواجز, وحتى لا نجور على أحد الطرفين لحساب الآخر. وحتى لا نجمد ما من شأنه الحركة والمرونة, ولا نغير ما من شأنه الثبات والدوام. ومن ثم كان لزاما علينا أن نحدد (ما الثوابت, والمتغيرات في رسالة الإسلام؟).

الثوابت والمتغيرات:

أما الثوابت فتتمثل أولا في: (العقائد) التي تمثل نظرة الإسلام الكلية: عن الألوهية والعبودية, وبعبارة أخرى عن الله والإنسان وعن الكون بشقيه: المنظور وغير المنظور. وموقف الإسلام هنا: موقف الواصف المخبر عن حقيقة هذه الأشياء الموجب للإيمان بها كما هي, بلا تهوين ولا تهويل.

وتتمثل الثوابت كذلك في: (العبادات) التي فرضها الله على عباده, قياماً بواجب شكره, وحق ربوبيته لهم, مثل الشعائر الركنية الأربع, التي تمثل أركان الإسلام العملية ومبانيه العظام: الصلاة والزكاة والصيام والحج, وما يكملها من نوافل المرء من ربه, وتزيد من رصيده عنده, وما يلحق بها من عبادات أخرى مثل الذكر والدعاء وتلاوة القرآن.

ومن الثوابت كذلك: (القيم الأخلاقية العليا), وأمهات الأخلاق العملية التي تحدد علاقة الإنسان بربه كالإخلاص له, والرجاء في رحمته, والخشية من عقابه.. وتحدد علاقته بنفسه مثل: النظافة, والعفة, والحياء, والصبر, والشجاعة, والعزة ومحاسبة النفس... وتحدد علاقته بأسرته مثل: الرعاية لحقوق الزوجة, وحقوق البنوة وبر الوالدين, وصلة الرحم, وتحدد علاقته بالمجتمع مثل: قول الصدق, وإنجاز الوعد, والوفاء بالعهد, ورعاية الأمانة, ورحمة الصغير, وتوقير الكبير, والعدل مع الصديق والعدو, والبر بالناس, وفعل الخير للجميع وغير ذلك من مكارم الأخلاق التي بعث النبي(ص) ليتممها.

وفي الجانب السلبي : أمهات الرذائل التي حذر الإسلام منها أشد التحذير ، مثل: القتل، والسرقة والزنا، والشذوذ الجنسي، وشرب الخمر، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، وشهادة الزور، والكذب والغيبة، والنميمة، وسوء الظن، والغدر، والشح، والظلم، فكل هذه حرام، بل أكبر المحرمات عند الله.

ومن الثواب أيضاً: (الأحكام القطعية) في شؤون الفرد والأسرة والمجتمع، والحكم والعلاقات الدولية، التي ثبتت بالنصوص المحكمة القطعية في ثوابتها ودلالتها. وأجمعت عليها الأمة، واستقر عليها الفقه والعمل.

فهذا النوع من الأحكام: هو الذي يمثل (الوحدة الفكرية والشعورية والسلوكية) للأمة، ويجسد (ثوابتها) على اختلاف البيئات والأقطار، وتغير الأعراف والأعصار.

وفيما عدا هذه الثوابت الراسيات: نجد جل أحكام الشريعة قابلة للاجتهاد وتعدد الأفهام.
وهناك بعد ذلك شؤون الحياة المتغيرة: من زراعة وصناعة وطب وهندسة، وما ذلك مما يتعلق بالعلوم التجريبية وتطبيقاتها في الحياة اليومية، فهذه ونحوها: متروكة لعقول البشر وتجاربهم وممارستهم – ليس عليهم إلا أن يحكموا فيها منطق العقل والعلم والتجربة، وهي التي ورد في مثلها الحديث الصحيح: "أنتم أعلم بأمر دنياكم" (38).
والإسلام بهذا التوازن: يجمع بين الثبات والتطور ، أو الثبات والمرونة في تناسق بديع.
إنه الثبات على الأهداف والغايات، والمرونة في الوسائل والأساليب.. الثبات على الأصول والكليات، والمرونة في الفروع والجزئيات.. الثبات على القيم الدينية والأخلاقية، والمرونة في الشؤون الدنيوية والعلمية.
والإسلام بهذا: يتسق مع طبيعة الحياة الإنسانية خاصة، ومع طبيعة الكون الكبير عامة، فقد جاء هذا الدين مسايراً لفطرة الإنسان، وفطرة الوجود.
أما طبيعة الحياة الإنسانية نفسها. ففيها عناصر ثابة باقية ما بقي الإنسان، وعناصر مرنة قابلة للتغير والتطور. وكذلك طبيعة الكون من حولنا.
والخطر كل الخطر على الحياة الإسلامية: أن نثبت ما من شأنه المرونة والتطور، أو نطور ما من شأنه الثبات والخلود، فتضطرب الحياة، وتختل الموازين(39).

6- مراعاة الواقع:

ومن معالم هذا التيار: أنه يراعي الواقع المعاش ولا يغفل عنه: سواء في عرض الدعوة الإسلامية والخطاب الديني للمسلمين وغير المسلمين، بحيث يهتم بما ينفع عقولهم، وينير قلوبهم، ويحل مشاكلهم، ولا يسبح بهم في الماضي بعيداً عن الحاضر، في المثاليات الحالمة بعيداً عن الواقع.
وكذلك في تقديم الشريعة الإسلامية بدلاً من الأنظمة والقوانين الوضيعة، أو في تقديم الحل الإسلامي بديلاً عن الحلول المستوردة من اليمين أو اليسار، فالفقيه الحق هو الذي يزاوج بين الواجب والواقع فلا يعيش فيما يجب أن يكون، مغفلاً ما هو كائن.
وقد نبهت هنا على بعض أشياء، تغيب عن بعض الناس، إذا أردنا أن نطبق أحكام الشريعة في واقعنا المعاصر:
أولها: أن كثيراً من المشكلات التي نعانيها اليوم، ونشكو منها، ونختلف في وصف علاج إسلامي لها: قد تبرز أصلاً في ظل المجتمع الإسلامي الصحيح، لأن بروزها الآن ثمرة لأوضاع غير أسلامية، ونتيجة لمجتمع غير ملتزم بمنهج الإسلام كله، ونظام الإسلام له. فإذا تغيرت صفة المجتمع، وتغيرت أوضاعه بظهور المجتمع المسلم المتوازن المتكامل – بمقوماته وخصائصه وأوضاعه – تلاشت تلك المشكلات أو انكمشت، ولم تعد تكون مشكلة حقيقية.
ثانيها: أن من الناس من يتصور أن كل ما في مجتمعنا الحالي مخالف للإسلام، وأن كل الأنظمة والقوانين والمؤسسات ستهدم وتبنى من جديد. وهذا ليس بتصور سليم. فأكثر الأنظمةوالقوانين والمؤسسات القائمة ستبقى،

ولكن بعد أن تنقى من العناصر الغريبة المنافية للأسلام، وتطعم بالعناصر الإسلامية الخالصة، وبهذا: تكتسب الشرعية، وتستحق البقاء باسم الاسلام.

ثالثها: أن قيام نظام أسلامي في مجتمع، لا يعني تغيير كل ما يراد تغييره فيه مابين عشية وضحاها، فمن الناس من يتصور في المجال الاقتصادي مثلاً أنه – بمجرد انتصار الاتجاه الاسلامي، والعودة الى تطبيق شريعة الله – لا يطلع صباح اليوم التالي، إلا وقد صدرت الأوامر باغلاق المصارف (البنوك) الربوية السائدة وشركات التأمين وتسريح موظفيها، وفرض الحراسة على ممتلكاتها... الخ تبعاً لهذا التصور يتوقعون زلزلة الأقتصاد، وتعطيل المصالح، واختفاء رؤوس الأموال، وغير ذلك من النتائج والآثار.

وهذا التصور: إنما جاء نتيجة القصور في فهم المنهج الاسلامي في علاج الواقع الفاسد، وتغيير المنكر القائم، وبناء المجتمع الصالح.

هناك مبادئ لا بد من أن توضع في الاعتبار عند الاتجاه إلى تطبيق النظام الإسلامي، وإقامة المجتمع المسلم التكامل المنشود.

أ- رعاية الضرورات:

هناك مبدأ (الضرورات التي اعترف بها الشرع، وجعل لها أحكامها وتقرر ذلك في قواعد فقهية عامة، أصلها علماؤنا في كتب (القواعد الفقهية) وفي الكتب (الأشباه والنظائر) هي:

(الضرورات التي تبيح المحظورات – الضرورة تقدر بقدرها – الحاجة قد تنزل منزلة الضرورة).
ولهذا المبدأ أدلته الكثيرة من الشرع في باب الأطعمة وغيره. وهو مبدأ مسلمٌ به مجمعٌ عليه. والضرورات الشرعية ليست كلها فردية، كما قد يتوهم فللمجتمع ضروراته، كما للفرد ضروراته، فهناك ضرورات اقتصادية، وسياسية، وعسكرية، لها أحكامها الأستثنائية، التي توجبها الشريعة، مراعاة لمصالح البشر، التي هي أساس التشريع الإسلامي كله.

ب-ارتكاب أخف الضررين:

مبدأ السكوت على المنكر: إذا ترتب على تغييره منكر أكبر منه، لأعظم المفسدتين، وارتكابا ً لأخف الضررين. وبناءً على هذا المبدأ يقرر الفقهاء طاعة الإمام الفاسق إذا لم يمكن خلعه إلا بفتنةٍ وفسادٍ أكبر من فسقه. ومما يستدل به لهذا المبدأ: حديث النبي (ص) لعائشة: " لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لهدمت الكعبة، وبنيتها على قواعد إبراهيم"(40). ومن ذلك إبقاؤه (ص) على المنافقين، وترك التعرض لهم، مع علمه بنفاق بعضهم على التعيين، وتعليله ذلك بقوله: "معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي"(41).
وعند تجدد ظروف مماثلة لظروف قيام المجتمع الأول أو قريبة منها: نستطيع الأخذ بهذه السنة الإلهية، سنة (التدرج) إلى أن يأتي الأوان المناسب للحسم والقطع، وهو تدرج في (التنفيذ)، وليس تدرجاً في (التشريع)

فإن التشريع قد تم واكتمل باكتمال الدين، وإتمام النعمة، وانقطاع الوحي: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً] (42).

ومن الشواهد التي تذكر هنا: ما رواه المؤرخون عن عمر بن عبد العزيز، الذي عده كثير من أئمة الإسلام خامس الراشدين، أن ابنه عبد الملك قال له يوماً: يا آبت مالك لا تنفذ؟ فوا لله ما أبالي لو أن القدور غلت بي وبك في الحق!

يريد الشاب المتحمس من أبيه أن يقضي على المظالم وآثار الفساد دفعة واحدة، دون تريث ولا أناة، وليكن بعد ذلك ما يكون. فماذا كان جواب الأب ؟

قال عمر: "لا تعجل يا بني! فإن الله ذمّ الخمر في القرآن مرتين، وحرمها في الثالثة، وإني أخاف أن أحمل الحق على الناس جملة: "فيدفعوه جملة، ويكون من ذا فتنة" (43).

وهذا هو اليسر، وتلك هي الواقعية في منهج الإسلام العظيم (44).

7- الدعوة إلى التسامح والتعايش، والتسامح مع الآخرين، ممن يخالفونه العقيدة أو في المنهج، كما وضحت ذلك في كتابي: (غير المسلمين في المجتمع الإسلامي).

كما يدعو إلى إقامة جسور للحوار معهم، على اختلاف طوائفهم واتجاهاتهم. وقد شاركت في بعض هذا الحوار في العام الماضي (2001)، في روما في القمة الإسلامية المسيحية التي دعت إليها جمعية (سانت جديو) في (

أكتوبر 2001ميلادية)، وفي مؤتمر القاهرة: الذي دعا إليه منتدى الحوار الإسلامي عن المجلس الأعلى للدعوة والإغاثة.

فهو يدعو للحوار مع الإسلاميين: بعضهم مع بعض، ويميز بين الاختلاف المشروع والتفرق الممنوع، ويرى أن الاختلاف في مسائل الفروع ضرورة ورحمةٌ وسعة ً، ضرورة ً اقتضتها طبيعة الدين، وطبيعة اللغة، وطبيعة البشر، وطبيعة الكون والحياة. وقد بينت ذلك في كتاب: (الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم).

كما دعوت في كتابي : (أولويات الحركة الإسلامية) إلى الحوار مع غير الإسلاميين... مع المنصفين من القوميين والعلمانيين، وقد شاركت في المؤتمر القومي الإسلامي، وكنت عضواً في اللجنة التحضيرية التي أعدت الورقة التي قدمها الجانب الإسلامي، وحضرت أكثر من دورة من دورات هذا المؤتمر الذي جمع المعتدلين من الإسلاميين ومن القوميين: على قضايا أساسية تهم الفريقين، ولاسيما قضية فلسطين، وأحسب أنه كانت له ثمار طبية. كما حضرت مؤتمراً في بيروت تحت عنوان/ (مسلمون ومسيحيون معا من أجل القدس) التقى فيه مشايخ الإسلام مع أباء المسيحية من العرب: جنباً إلى جنب، من أجل القضية المقدسة: قضية القدس.

كما ناديت بالحوار: مع العقلاء من الحكام، لإزالة الفجوة أو الجفوة التي بين العلماء والدعاة العاملين للإسلام، والحكام الذين يخافون من التيار الإسلامي ويتوجسون شراً

من الدعاة إليه. وأعتقد أن الحوار البناء هنا: يوضح كثيراً من المواقف، ويقرب كثيراً من المسافات ويعالج كثيراً من المخاوف والهواجس.
كما ناديت بالحوار مع الغربيين أنفسهم، على المستوى الديني: (مع رجال الدين الكبار) وعلى المستوى. الفكري: (مع المستشرقين وكبار الكتاب) وعلى المستوى السياسي: (مع الذين يصنعون القرار أو يؤثرون في صنعه من السياسيين).

8- تبنى الشورى والحرية للشعوب:

ومن معالم هذا التيار: أنه يدعو إلى التعددية السياسية، ويرى تعدد الأحزاب السياسية أشبه بتعدد المذاهب في الفقه، وقد قلت: إن الأحزاب مذاهب في السياسة، كما أن المذاهب إنما هي بتعدد أحزاب في الفقه! ويقاوم الاستبداد السياسي أيا كان نوعه. ولاسيما ما قام باسم الدين، ويرفض إتباع كل جبار عنيد، يستخف قومه فيطيعونه، الإسلام ينكر من أم قوما في الصلاة، وهم له كارهون، فإذا كان هذا في الإمامة الصغرى فكيف بالإمامة الكبرى؟
كان يحارب كل نمرود أو فرعون: يدعي الإلوهية – قولاً أو فعلاً - ، ويدعو الناس جميعاً إلى كلمة سواء: (أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ) (45).
ويرى أن الشورى واجبة، وأن رأي الأكثرية ملزم للأقلية، وأن من الواجب اتخاذ ضمانات الديمقراطية وأساليبها لتقليم أظفار الطغاة والمتسلطين.

وهذا ما وضحته في أكثر من فتوى لي في الجزء الثاني من كتابي: (فتاوى معاصرة) وخصوصاً فتوى: (الإسلام والديمقراطية) وفتوى: تعدد الأحزاب في الدولة الإسلامية) وفي كتبي الأخرى, ولاسيما كتاب: (من فقه الدولة في الإسلام) وكتاب: (السياسة الشرعية في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها).

9- إنصاف المرأة باعتبارها شقيقة الرجل:

ويتجلى ذلك في: وقوفه بجانب المرأة ضد تيارين مرفوضين: التيار المتشدد، الذي ينظر بريبة إلى المرأة، ويجسد تعنت الرجال ، وظلمهم لها، وجورهم على حقوقها المشروعة، في التجمل وفي التعليم، وفي العمل، وفي التصويت، وفي الترشيح للمجالس النيابية، وفي ممارسة الأنشطة المختلفة في المجالات الثقافية، والمجالات الإجتماعية، والمجالات السياسية.

والتيار الآخر: تيار التبعية للحضارة الغربية المعاصرة، الذي ينظر الى المرأة وكأنها مجرد جسد، ويعاملها كأنها رجل، ناسياً أنها انسان له روح وجسد، وأنها ليست رجلاً، وانما هي شقيقة الرجل، ولهذا ظهر عند الغربيين ما سمي: (الجنس الثالث) الذي لم يعد امرأة، ولم يصبح رجلاً.

وجنت الإباحية على الأسرة، وعلى الأخلاق.

والواجب على المجتمع المسلم حماية المرأة من تقاليد الشرق الموروثة من عهود التراجع الإسلامي، ومن تقاليد الغرب الوافدة، التي تريد أن تسلخ المرأة من ذاتيتها.

ويتخذ تيار الوسطية موقفه انطلاقاً من قوله تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ) (46).

وقد ألقيت ضوءاً على هذه القضايا وأمثالها، في أكثر من كتاب لي، وخصوصاً الجزء الثاني من كتابي: (فتاوى معاصرة) وفي كتابي: (ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده): وفي رسالة: (مركز المرأة في الحياة الإسلامية) من رسائل ترشيد الصحوة.

10 – إحياة الاجتهاد:

تيار الوسطية يرى أن : الاجتهاد فريضة وضرورة، فريضة يوجبها الشرع، ضرورة يحتّمها الواقع، ويحترم نتائج الاجتهاد، وإن خالفت رأيه، مادام صادراً من أهله في محلة، ويتبنى ما قاله الواقع، أمير المؤمنين في الحديث، وإمام الفقه والورع: سفيان بن سعيد الثوري رحمه الله: إنما الفقه الرخصة من ثقة، أما التشديد فيحسنه كل أحد (47).

كما يتبنى قاعدة المنار الذهبي: "نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه (48).

وإني لموقن يقينا لاريب فيه: أن الفقه الإسلامي المعبّر عن شريعة الإسلام – بمصادره الغنية، وأصوله المحكمة، وقواعده الضابطة، ومدارسه الاجتهادية، وثورته الفكرية – لجدير أن يمد الأمة بكل ما تحتاج إليه: من فتاوى وأقضية وتشريعات: تحقق المصلحة، وتدرأ المفسدة وتلائم الفطرة، وتقيم الموازين القسط بين الناس.

1 – التوبة / 69.
2 – روا أحمد واالنسائي وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان والحاكم عن ابن عباس (صحيح الجامع الصغير: 268).
3 – رواه مسلم عن ابن مسعود.
4 – الرحمن : 7 – 9 .
5 – قال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله موثقون. (مجمع الزوائد: 1/26).
6 – البقرة / 219 .
7 – النساء / 43 .
8 – المائدة / 90.
9 – يراد بالتفسيق والتبديع: وصف الآخرين بالفسق والبدعة.
10 – انظر أولويات الحركة الإسلامية ص 115 – 117 .
11 – النور / 31 .
12 – انظر : رسالتنا (النقاب: بين القول ببدعته والقول بوجوبه) من رسائل ترشيد الصحوة.
13 – انظر : كتابنا (الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف) ص 38 – 43 .
14 – النساء / 31.
15 – آل عمران / 159.
16 – الحجرات / 12 .
17 – رواه مسلم عن أبي هريرة في حديث طويل.
18 – رواه مسلم.
19 – انظر : كتابنا (الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف) مظاهر التطرف: 43 – 60 .
20 – الانعام / 55 .
21 – رواه أبو داود عن جابر، صحيح الجامع الصغير (4362).
22 – متفق عليه عن عائشة: اللؤلؤ والمرجان (1502).
23 – المائدة / 98 .
24 – الرعد / 6.
25 – غافر / 3 .
26 – البروج / 12 – 13 .
27 – الحديد / 20 .
28 – الحجر / 49 – 50 .

29 – تناولت هذا المبحث بالتفصيل في محور (من التعسير والتنفير إلى التيسير والتبشير) في هذا الكتاب.
30 – رواه أبو داود في أول كتاب الملاحم من سنن (41914) والحاكم (522/4) وصححه العراقي وغيره. أنظر : تجديد الدين في ضوء السنة – مقالنا في مجلة مركز بحوث السنة والسيرة – العدد الثالث وكتابنا (من أجل صحوة راشدة: تجدد الدين وتنهض بالدنيا).
31 – وخصوصاً كتابي (أولويات الحركة الإسلامية).
32 – متفق عليه عن معاوية.
33 – هود/ 118 – 119.
34 – النساء / 1 .
35 – النمل / 82.
36 – المائدة / 38.
37 – القصص / 50.
38 – رواه مسلم في صحيحه عن أنس وعائشة.
39 – انظر: كتاب (الصحة الإسلامية وهموم الوطن العربي) الصادر عن منتدى الفكر العربي، ومجمع بحوث الحضارة الإسلامية بالأردن – الصفحات 24 – 56 .
40 – متفق عليه عن عائشة، أنظر اللؤلؤ والمرجان فيما يتعلق عليه الشيخان. الأحاديث: 841 – 843.
41 – رواه أحمد والشيخان عن جابر. أنظر: صحيح الجامع الصغير (5878).
42 – المائدة / 3 .
43 – انظر: الموافقات للشاطبي (14/2).
44 – انظر: كتابنا (بينات الحل الإسلامي) ص 208 – 213. ط وهبة.
45 – آل عمران / 64 .
46 – التوبة / 71 .
47 – ذكره أبو نعيم في (الحلبة) وابن عبد البر في (جامع بيان العلم وفضله) والنووي في مقدمات (المجموع) وفي شرح المهذب (42).
48 – راجع دليلنا على صحة هذه القاعدة في كتبنا (فتاوى معاصرة) (130/2 – 139) طبعة دار الوفاء – القاهرة.

القسم الثاني

الوثائق السياسية
لفكر الوسطيّة

الوسطية المستنيرة في الإسلام

الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلو
الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي

حينما أصدرت القمة الإسلامية العاشرة -التي عُقدت في ماليزيا في تشرين الأول (أكتوبر) 2003- قرارا بعقد ملتقى إسلامي لنخبة من رجال الفكر المسلمين، يبحث تحديات القرن الحادي والعشرين وكيفية مواجهتها بعملٍ إسلاميٍ مشترك، ويتناول النهج الوسطي المستنير في الدين الإسلامي ويعمل على إبرازه، ويدرس سبل إصلاح "منظومة" منظمة المؤتمر الإسلامي... لم يكن القصد من هذا القرار مجرد إعداد وثيقةٍ تضاف إلى وثائق أخرى أُعدّت لأغراض مشابهة، بل كان القصد الحقيقي يتلخص في وضع تصوّرٍ إسلاميٍ مصحوبٍ بخطط عمل تُمكّن الأمة الإسلامية من تدارك ما فاتها من مسافات أبعدتها عن قطار الزمن، حتى تستطيع أن تعيش عصرها مواكِبة لركْب الإنسانية الذي تخلّفت عنه، وحتى يمكنها أن تتفاعل مع هذا العصر كقوةٍ فاعلةٍ ندّية.

وكان في ذهن واضعي القرار المذكور أن يُمكّن هذا المشروع من التمهيد لعهدٍ إسلاميٍ جديدٍ متنوّرٍ يقوم على ثوابت الإسلام الراسخة في الوسطية والاعتدال، والمنسجمة مع واقع العصر، ويتيح للعالم الإسلامي مواكبة العمل الإنساني كعنصرٍ فاعلٍ من العناصر المكوِّنة للمجموعات البشرية المتعايشة على ظهر كوكب الأرض.

وكلنا **يعلم أن ما أدركه الغرب أخيرا من "فتوحات" في ميادين التقدم والقيم والعلوم الإنسانية هو امتداد لإسهامات الحضارة الإسلامية. ولا يوجد خلاف للمسلمين مع كثير من القيم العالمية السامية الرائجة اليوم، أو مع**

مقتضيات القانون الإنساني الدولي، بل يمكننا القول بكل فخرٍ إن هذه القيم هي امتداد لقِيَمنا.

وإذا كان جُلّ ما سبق يدخل في إطار وقفةٍ مع الذات لترتيب شؤون البيت الإسلامي الداخلية، فإن العالم الإسلامي يعيش في وسط عوالم بشريةٍ أخرى عليه أن يتفاعل معها وتتفاعل معه في نطاق التعايش الإنساني الأبدي. وهذا ما يجعل من العلاقة مع الآخر علاقةً ضروريةً حتميةً نريدها أن تكون علاقةً ندّية.

والواقع أن العالم الإسلامي أخذ يخسر هذه "الندية" منذ زمن طويل. ومع إدراكه أن الذي لا يتقدم مع الركب يتخلف عن الآخرين ويفوته قطار الزمن، فإن تلمّس سبل اللحاق بالركب ما زال مطلباً عزيزاً علينا، وعجزنا حتى الآن عن تحقيقه لأسباب عديدة نستطيع تشخيصها، لكن - مع الأسف- ليست لنا الإرادة الموحّدة للمبادرة بالعمل على البدء في تنفيذها.

والتحديات التي تواجهها الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين تحدياتٌ كثيرةٌ متنوعة، وحسب المرء أن يشير إلى أهمها في عجالة، كما رأتها نخبةٌ من رجال الفكر المسلمين الذين اجتمعوا أخيرا في بوتراجايا في ماليزيا لهذا الغرض.

يتجلى أول هذه التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في أزمة التنمية التي تتبدى للعيان في التخلف المزمن في مجال التنمية الاقتصادية والبشرية. فمن غير المقبول أن يبقى مجموع الناتج العام للعالم الإسلامي كله، بمئات ملايينه التي تزيد على خُمس أبناء البشرية وبرقعته الجغرافية التي تغطي حيزا ً كبيراً من المعمورة وتزخر بثروات عديدة، مقصورا على نسبة لا يُعتدّ بها في أرقام الاقتصاد العالمي وحساباته.

ومن التحديات كذلك أزمة التعليم والثقافة التي تتجلى في الجهل والأمية الحَرفيّة والرقمية، وضعف مناهج التعليم في أرجاء العالم الإسلامي، وندرة مراكز الأبحاث والعلوم، وغياب تكنولوجيا المعلومات التي هي القوة الأولى المحرّكة للاقتصاد العالمي، وندرة الكتب والمؤلفات وقلة القارئين في العالم الإسلامي.

هناك أيضا أزمة الديمقراطية والحكم الرشيد في كثير من مجتمعاتنا الإسلامية. ومن المعلوم أن الحكم الرشيد المبني على المساءلة والشفافية والتعددية السياسية والعدالة وسيادة القانون، هو القاعدة الصلدة لكل نمو اقتصادي حقيقي، بما يقدمه للاقتصاديين من ثقة واطمئنان على معاملاتهم وأموالهم. ويتفق الجميع اليوم على أن الديمقراطية والتنمية وجهان لعملة واحدة وأمران متلازمان، على أن يتم إشراك مؤسسات المجتمع المدني في هذا الجهد.

ويعاني العالم الإسلامي كذلك من أزمة القيم التي تتجلى في عدم التقيّد بالحقوق العامة، وفي مقدمها حقوق الإنسان وكرامته وغيرها من الممارسات اللاإنسانية التي تخدش مفهوم القيم في مجتمعاتنا، وتجعلنا موضع النقد والشجب.

وقد عددت كتب الفقه الإسلامي عشرات الحقوق التي ينبغي أن تُراعى، كحق الخالق وحق الحياة وحق النفس وحق الطفل وحق الجار وحق الطريق... إلخ. وتبيّن هذه الحقوق النظرة الشرعية لحقوق الفرد والجماعة التي تنظَّم على أساسها الحقوق والواجبات في العصر الحديث، وتشكّل قاعدة دولة الحق والقانون، وتتفرع عنها الحقوق السياسية وقاعدة الحريات العامة.

كما أخذ العالم الإسلامي يعاني في الفترة الأخيرة من ظاهرة تفشي تيارات التطرف الديني والعقائدي، وما نجم عن ذلك من أعمال عنف وإرهاب وظهور اتجاهات تكفيرية ومدارس للتعصّب الديني. وقد شجعت أعمال العنف والإرهاب خارج العالم الإسلامي وداخله أخيرا استشراء ظاهرة عداء الإسلام وكراهيته (إسلاموفوبيا) القديمة الجديدة، وهو ما خلق بدوره تحدياً جديداً خطيراً يقتضي من العالم الإسلامي التعامل معه ومع غيره من التحديات بمنهجية عصرية وخطط ناجعة... والكثير من الجدية والمسؤولية.

ولما أضحى هذا الأمر مصدرا خطيرا للتحامل على الإسلام والمسلمين، ونعتهم بأقبح الصور من الإرهاب إلى

التخلف الحضاري وغيره صار الاتجاه لازماً إلى ضرورة وضع خطة شاملة لبلوغ هدف الوسطية المستنيرة بما يتفق مع تعاليم الإسلام، وللقضاء على أفكار التعصب والتطرف والغلوّ الديني في كثير من بلداننا والتي تتمثل فيما يسمّى فتاوى التكفير والولاء والبراء، ورواج ظاهرة من يسمون أنفسهم "مرجعيات دينية" يصدرون فتاوى تتناقض مع روح الشريعة الإسلامية السمحة، من دون أن تكون لأصحاب هذه المرجعيات أية أهلية شرعية لذلك.

وقد نجم عن شيوع هذه الأفكار المتعصبة في الناشئة من أبناء المسلمين انحرافاتٌ خطيرة، تبدّت على شكل أعمال عنف وإرهاب شنيعة داخل بلدان العالم الإسلامي وخارجها شوهّت صورة الإسلام وقيمه في أعين العالم وزادت من حدة ظاهرة كراهية الإسلام في الخارج.

وتتطلب معالجة هذا الوضع ضرورة اتفاق دول العالم الإسلامي في برامجها وتشريعاتها على سياسات تهدف إلى ترتيب شؤون البيت الإسلامي الداخلية، بتحبيذ رعاية التيارات الإسلامية المعتدلة التي تواكب أفكار العصر، وتوحيد المرجعيات الدينية الفقهية وتحديدها بغية حصر من يحق له أن يُفتي في النوازل من وجهة النظر الإسلامية الشرعية، بما ينسجم مع شروط الاجتهاد وشروط الفتوى في الدين الإسلامي.

كما ينبغي أن نشيع في مجتمعاتنا الإسلامية ثقافة "التسامح" بالمعنى الإسلامي. ويقودنا هذا كذلك إلى ضرورة تبنّي

تعريف واضح "للجهاد" في الإسلام وشروطه الموضوعية ودواعيه ومصدر إعلانه، طبقا لما هو وارد في كتب الفقه، وذلك حتى يتميز الجهاد الحقيقي من الإرهاب.

وأضحى من الضروري أمام تفاوت مستويات التنمية في العالم الإسلامي تفعيل مبادئ التكافل والتآزر الإسلاميين لتقوية عرى الأخوّة الإسلامية، وذلك بتنشيط آليات التضامن الإسلامي، كمؤسسات جمع الصدقات وتحصيل الزكاة وموارد الأوقاف الخيرية الإسلامية، وتأطير المؤسسات ذات الطابع الاجتماعي في المجالات المختلفة، كمراكز محو الأمية، وعلاج الأمراض، ومحاربة الفقر، وإنشاء صناديق إسلامية لهذا الغرض يسهم فيها المسلمون كافة بتبرعات سنوية زهيدة، ولكنها تتيح جمع مبالغ طائلة لتحقيق هذه الغايات التي ترمي إلى إنقاذ العالم الإسلامي من التخلّف والجهل وتفشّي الأمّية، وإنشاء مراكز عالية للبحوث في المجالات التكنولوجية والعلمية المختلفة، وتقديم منح للطلبة المسلمين المبرزين في مجالات العلوم للدراسة في أحسن المعاهد العليا المتخصصة في العالم، وتدشين جامعات مفتوحة في أرجاء العالم الإسلامي.

أما فيما يخص التواصل مع الآخر، فإن العبء الذي ينتظر العالم الإسلامي في هذا المجال كبيرٌ وثقيل، فدور حكومات الدول الإسلامية والمؤسسات الإسلامية في مجال علاقاتها مع وسائل الإعلام العالمية المؤثرة محدودٌ ، إن لم نقل منعدماً ، بل إن العالم الإسلامي على امتداد أراضيه وكثرة موارده، لم يستطع أن ينشئ قناة فضائية دولية واحدة تنطق

باللغة الإنجليزية المسموعة عالميا، تبث أخبار العالم الإسلامي وتتكلم عن قضاياه من وجهة نظرنا. كما أن المستثمرين المسلمين عبر العالم -على كثرتهم- لم يستطيعوا أن يستثمروا أموالهم في قطاعات صناعات الإعلام الدولية الكبرى، وهي قطاعات حرّة ومربحة في معظم الحالات. ومن شأن هذا أن يمكّنهم من أن يكون لهم صوت في توجيه برامجها نحو ما يبعد التحامل على الإسلام والمسلمين أو ترويج أفكار أعداء الإسلام.

وكان الشق الثالث من قرار القمة الإسلامية العاشرة المشار إليه مختصا بإصلاح "منظومة" منظمة المؤتمر الإسلامي، وهو قرار يعني إعادة النظر في تكوين هذه المنظمة التي أنشئت قبل ستة وثلاثين عاما ليقتصر نشاطها على تنظيم اجتماعات المنظمة، لتصبح منظمةً دوليةً تليق بالعالم الإسلامي ودوره الحقيقي الذي عليه أن يقوم به على الساحة الدولية، على غرار المنظمات الحكومية الدولية الأخرى. ويتطلب هذا الأمر إعادة النظر في ميثاق المنظمة، وإعادة تحديد الأهداف والغايات المتوخاة من هذه المنظمة. وطرحت أفكار كثيرة في هذا المجال توجهت للنهوض بالمنظمة من وضعها الحالي، والارتقاء بها إلى مستوى نظيراتها من المنظمات على المستوى الدولي.

ويسعدني في هذا الشأن أن أنوّه بجهد صامت خلاق تقوم به بعض الهيئات الفرعية والمؤسسات المتخصصة والمنتمية لمنظمة المؤتمر الإسلامي، وفي طليعتها لجنة الكومسيك التي استطاعت بنشاطها الدائب وضع اتفاقية

لنظام الأفضليات التجارية بين الدول الإسلامية دخلت حيّز التنفيذ الآن.

وتبع ذلك عقد اجتماعاتٍ لجولاتٍ تجاريةٍ تفاوضيةٍ بين الدول الموقعة على الاتفاقية (على غرار جولات أوروغواي راوند التي تمخضت عنها منظمة التجارة العالمية). وهذا الإنجاز الإسلامي مهم بكل المقاييس، ومن شأنه أن يعزز التعاون الاقتصادي بين الدول الأعضاء. ومن المعروف أن كل التجمّعات السياسية الناجحة في العالم بدأت مسيرتها من مدخل الاقتصاد والمصالح المشتركة.

إن العالم الإسلامي يمر بوقت عصيب ومرحلة استثنائية غير مسبوقة في تاريخ أمتنا، والظروف الاستثنائية تقتضي تحركا ً استثنائيا ً وعملا ً جادا ً وردا ً مناسبا ً، وأية إستراتيجية تمكّن الأمة الإسلامية من مواجهة تحديات القرن الحادي والعشرين التي أسلفت ذكر بعضها، لا بد أن تنطلق من استيعاب هذه التحديات واستشعار خطورتها والجدية في التعامل معها، والبدء في التخطيط لمسار وهياكل تجمع الجهد الإسلامي على الأصعدة السياسية والاقتصادية والدفاعية.

ومن هنا كان بدء اجتماعات لجنة النخبة من رجال الفكر المسلمين في بوتراجايا أخيرا، نقطة انطلاق جديدة لعمل إسلامي مشترك، نطمح معه أن يؤسس لجهدٍ إسلامي فاعل متنور، يستلهم منطق العصر وأساليبه، ويستند إلى التراث

الإسلامي بثوابته الأصيلة، لرسم اتجاهات جديدة تساعد العالم الإسلامي على مواجهة تحديات العصر، وتقوده إلى وضع جديد من التعاون والتضامن والتكافل ووحدة الصف والكلمة. ونسأل الله أن يكتب لهذا العمل الرائد، توافر الإرادة السياسية لدولنا لتنفيذ توصياته، إذا ما أردنا أن يكون لأمتنا الإسلامية شأنٌ في هذا العالم، أو كلمة مسموعة، أو رأيٌ يعتدّ به.

وحين يجتمع لنا كل ذلك وتتوافر لدولنا الإرادة السياسية والإجماع على العمل المشترك، يمكننا أن نستبشر بأننا بدأنا نخطو على الطريق المؤدي لمواجهة هذه التحديات والتغلب عليها بإذن الله.

تيار الوسطية

الدكتور سعد الدين العثماني

أمين عام حزب العدالة والتنمية

في المغرب

إن تيار الوسطية هو تيارٌ ممتدٌ عبر التاريخ، وهو في الشرع راسخ في القرآن والسنة، حيث حذرت السنة النبوية من الغلو، ورغبت بالتيسير والتخفيف، وجاءت السلوكيات النبوية مؤكدة على ذلك.

ان المجتمعات الانسانية مرّت بمراحل متعددةٍ، برزت خلالها أفكارٌ متشددة، أخذت من الدين الجوانب الأكثر صعوبةً، بل وبالغت فيه، حتى تصوّر بعض الناس أنها هي الجانب المهم، حتى طغت هذه الصور على حياة بعض المجتمعات الإسلامية، مع أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم خطَّ منهجاً وسطياً واضحاً لا لُبس فيه من خلال علاقة العزائم بالرخص (إنّ الله يحب أن تُؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه) هنالك قواعد كثيرة وشواهد متنوعة تؤكد أصالة تيار الوسطية فهو تيار ضارب في أعماق التاريخ الإسلامي.

إن الوسيطة ليست عقيدةً، بل منهج حياةٍ، منهجٌ في فهم نصوص الشرع، منهجٌ في التدين، منهجٌ في تطبيق الشرع، منهجٌ في التعامل مع المجتمع، فهو منهج حياةٍ يجب أن نربيء أنفسنا وأمتنا في كل شؤون الحياة في السياسة والإقتصاد والاسرة.

الوسطية قناعةٌ فكرية، وسلوكٌ عملي، وعاطفةٌ منغرسة في الإنسان، وليست تكتيكاً أو أنغلاقاً للفكر أو إنحطاطاً للعاطفة.

الوسطية أمرٌ يتجدّد مع الوقت، وسلوكٌ يتربى عليه الإنسان تدريجياً، في تدريب ومهارة.

والوسطية في منهجها تقوم على أمرين رئيسين هما: التجديد والحوار.
التجديد حيويةٌ وحركةٌ ديناميكيةٌ مستمرة، تتحرك عبر التاريخ، وفي كل عقد من الزمن تتجدد الوسطية.

التجديد لا يرتبط فقط بالفكر، بل هو مرتبط بمكونات الشخصية الإنسانية الأساسية: الفكر والوجدان والسلوك.

تجديد الفكر يكون من خلال الاستفادة من منجزات الآخرين، والحضارة الإنسانية، والتجديد الفكري يعني الاجتهاد والجرأة في الاستفادة من الإرث الإنساني.

التجديد تفاعل مستمر مع الواقع وحاجاته، ومع الفكر والإرث الإنساني، ومن هنا فقد ناقش العلماء المسلمون علاقة العقل بالنقل، أي علاقة المعقول والمنقول لأن كل فكرة التجديد تقوم على هذه الجدلية. وهي جدلية مستمرة، فنصوص الوحي تحتاج إلى الادوات المعرفية والعقلية، فلا يمكن فهم القرآن إلا من خلال أدواتٍ ومعطياتٍ ذهنية وعقلية، ولذلك وجدت مدارس في التفاسير.

إن فهم نصوص الدين يرتبط بأمرين اثنين: الأول: جهاز مفاهيمي يملكه الإنسان، والثاني: المعطيات التي يملكها العقل البشري فإذا تجددت المعطيات تجدد الفهم، وأعطى الإنسان أفكاراً جديدةً ومنطلقاتٍ متطورة.

إن التجديد الفكري والعملي في الإسلام يبنى على العلم البشري الصحيح، وإن الإطلاع على المدارس والتجارب البشرية السليمة والاختلافات البشرية المتنوعة طريق للإبداع والخروج بالأفكار الصائبة.

النوع الثاني: التجديد في الوجدان والعاطفة، لأن الإسلام يهتم بكل جوانب الشخصية الإنسانية، إن منهج التجديد في العاطفة يحتاج إلى العقل والحنين إلى الصفاء، والماضي وهو نوع من أنواع المجاهدة الذاتية للإنسان ليرتقي بروحه وسلوكه وخُلقه إلى أعلى المستويات الإنسانية.

النوع الثالث: التجديد في العمل والسلوك، او ما يُسمى المهارات العملية التي يتقنها الإنسان، فنحن بحاجة ٍدائمةٍ إلى تطوير سلوكنا كمسلمين، والاستفادة من كل العلوم الإنسانية المعاصرة للوصول إلى المقاصد الشرعية بأقل تكلفةٍ وجهد ٍووقت، فإن صناعة العلم ليست حكراً لأمة دون غيرها.

الحوار

حوارنا كتيار الوسطية والإعتدال حوارٌ مفتوحٌ على الجميع. حوارٌ دائمٌ ومستمر.

حوارٌ يكون آلية ً كبرى للتجديد والمعرفة بالآخر وبالواقع المعاش والمعرفة المجتمعة بالحياة.

حوار متأني، بعيد عن التسرّع.

حوار مع الجميع، لأن القرآن الكريم تناول كل صور الحوار مع الآخرين والسنة النبوية شاهد عملي ومتنوع للحوار مع الجميع.

ولذلك على تيار الوسطية الإستفادة من أي تيارٍ موجود في أي مجتمع، والإطلاع على تجارب الجميع، لأخذ صوابها وتجنب أخطائها للقيام بالوظائف الإيجابية في المجتمع.

الحوار قلب مفتوح، تأخذ وتُعطي، فالإنسان يأخذ بمقدار ما يأخذ، وعلى تيار الوسطية أن يفتح أبواب الحوار ليس فقط مع مؤسسات المجتمع المدني والسياسي بل عليه فتح قنوات الأتصال مع الأنظمة والحوار مع الغرب.

إن الحوار مع الأنظمة يجب أن يكون قائماً على المصالح الوطنية، لأن الصراع مع الأنظمة جرّ الأمة إلى كوارث إنسانيةٍ وصراعاتٍ خطيرة، فإن الحوار يمكن أن يحلّ أعقد المشكلات مع الأنظمة، ولكن الحوار هذا يحتاج إلى صبرٍ ومثابرةٍ وجهدٍ وتدافع.

اما الصورة الثانية للحوار فهي العلاقة مع الغرب الذي يجب اليوم أن نعترف بأنه أصبح باباً للحضارة المعاصرة، ومن خلال الحوار مع الغرب نحاول التعريف بمصالحنا وتطلعاتنا وصورنا الإنسانية السمحة، فالغرب ليس كل

واحد، وإنما فيه من المؤمنين بالحوار وقبول الآخر من المسلمين.

إن الحوار مع الغرب فيه استفادة من التجارب الموجودة، بل يفتح أمام المسلمين مستقبلاً جديداً.

التطرّف والغلوّ والإرهاب .. أسبابه ووسائل علاجه

الأستاذ منتصر الزيات
محامٍ مصري ومدير مركز المستقبل للدراسات

بسم الله الرحمن الرحيم

... حتى لا نوغل في التاريخ ونتحدث في العموميات ، فإنني أريد أن أقف عند حادثة واحدة حدثت في خير قرون هذه الأمة فالرسول صلى الله عليه وسلم أراد أن يحذّر يوما ً من فتنةٍ ستقع وصراعٍ سينشب بين فئتين من هذه الأمة أحداهما كانت الباغية وحتى لا يترك صلى الله عليه وسلم مجالا ً للاجتهاد والنظر في أي الفئتين كانت الباغية أشار إلى أحد الذين سيقاتلون مع أحد هاتين الفئتين وهو عمار بن ياسر رضي الله عنه وقال له " ستقتلك الفئة الباغية " ودارت الأيام وحدث ما حذر منه عليه الصلاة والسلام وقتل عمار بن ياسر وهو يقاتل ناصرا معسكر علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، ولكن الفئة الأخرى بدلا من أن تنزجر وتعلم أنها خالفت الحق وخصوصا ً أنه ثبت عندها صحة الحديث ذهبت تتأوله وتحمله ما لا يحتمل وقالت قتلت عمار الفئة التي أخرجته ، أي أنه أصبح بمفهومها أن عمار قتل نفسه لأنه كان من بين صفوف الفئة الباغية ، أو على أقل تقدير قتلته الفئة التي خرج مجاهدا ً في صفوفها ..

إنه أيها السادة طالما استمر منطق عكس الحقائق الواضحات هو السائد فإنه يتعذر على أي منصف أن يجد قواعد يُرد إليها الأمر فيعرف من خلالها الحق من الباطل والزائف من الحقيقة ..

وثاني هذه المقدمات أيها السادة وانطلاقا من المقدمة الأولى هو ادعاء الجميع من وصفوا بالحكومات العربية ومن وصفوا بالجماعات أنهم من دعاة الفضيلة وأنهم

جميعا من محاربي الرذيلة وأنهم جميعا دعاة للحرية وحرب على الدكتاتورية وأنهم يقفون في مواجهة الإرهاب ..

والمرء لا يسعه إذا كان محايداً أو يحاول أن يكون كذلك في ندوة علمية تهتم بالبحث عن الحقيقة أقول إن المرء لا يسعه إلا أن يحاول أن يفهم باستقلال أي الفريقين كان على خطأ في ادعائه وأيهم كان على صواب ، لقد وقفنا كثيراً في ساحات المحاكم نحاول الإجابة على هذا السؤال كمحامين في قضايا العنف السياسي التي ظلت الجماعات الإسلامية هي المتهم الرئيسي فيها طوال العشرين عاما الماضية بل بوسعنا أن نقول طوال النصف قرن الماضي..

إن الحركة الإسلامية بمختلف فصائلها قامت لتعبر عن قضيةٍ تؤمن بها وقد زعمت أنها تريد العودة إلى هوية الأمة وحضارتها بعد أن غيبت وطمست هذه الهوية ، لقد ادعت هذه الحركة بمختلف فصائلها أنها قامت لتدافع عن الإسلام الذي غيب في بلده وعلى أرضه وبين أتباعه ، وبدلا من أن تُفسح لهم الساحة ليعبروا عن وجهة نظرهم ويجدوا من أهل الحكم في بعض الدول العربية التي ثارت فيها الأزمة من يتصدى لهم بالحجة ويثبت لهم أن ما ذهبوا إليه كان خطأً فلم تغيب هوية ولم يطارد الإسلام ، وجدنا أهل الحكم في تلك الدول ونستحضر على وجه المثال مصر والجزائر في بدايات العقد الماضي وهذه شهادة نسجلها للتاريخ يمنعون هؤلاء من التحدث عن وجهة نظرهم ويزجون بهم في السجون والمعتقلات وترتب لهم المحاكمات ..

ومن هنا أيها السادة بدأت المواجهات ، فقد يصبر فريق من الناس على ما يراه ظلما وتعسفا ولكن حتما أن كل الناس لن يصبروا وحتما سيوجد من يعبر بوسائل مختلفة عن احتجاجه .. وعلى هذا يبقى الاحتقان دوما هو العلة التي تسبب آلاما مبرحة للمجتمعات العربية أو الإسلامية بما تفرزه من ظاهرة العنف التي لا تكاد أن تخبو حتى تعود مجددا على رأس العقد الذي يليه.

وقد يبادر البعض بالقول أن العنف أو الإرهاب ظاهرةٌ عالميةٌ تتكرر في بعض المجتمعات الأوربية أو الغربية عموماً ورغم صحة المقولة إلا أنها من التي يسرى عليها الحكمة الشائعة " قولة حق يراد بها باطل " . وفارق كبير شاسع جداً بين حالات العنف التي تعرفها بعض تلك المجتمعات الغربية وبين ظاهرة العنف المنهجية في كثير من مجتمعاتنا العربية وأهم الصنوف التي تمايز بينهما – برأيي –عدم تأثر المناخ السياسي الغربي ببعض التداعيات التي تعتري صوراً نمطيةً اجتماعيةً محدودةً بممارساتٍ عنيفة ومن ثم لا تؤدى إلى النيل من الحقوق والحريات العامة على النحو الذي تتأثر به المجتمعات العربية لدرجة يمكن أن نصف بها الظاهرة داخلها بالمزمنة . فأهم الظواهر الغربية في مجال العنف على النحو الذي نعرفه في الصراع الذي استمر لسنوات طويلة بين الحكومة البريطانية والجيش الجمهوري الأيرلندي أو ذلك الذي عانت منه الحكومة الألمانية من منظمة باندرماينهوف أو الحكومة الأسبانية ومنظمة إيتا الانفصالية

كلها لم تؤد إلى الانتقاص من الحقوق المدنية للمجتمع بما فيه من أفراد أو منظمات أو هيئات أو أحزاب.
غير أن حالة " الاحتقان " التي تمنع قطاعات كبيرة داخل المجتمعات العربية وتلقى بظلالها على الحياة السياسية فتتسبب بقدر كبير في التساند إلى قوانين الطوارئ بما تؤدى إليه من تقييد حركة الأحزاب السياسية والمنظمات النقابية. وبصفة خاصة تلك العلاقة المأزومة بين فصائل التيار الإسلامي على تنوع روافده وبين بعض الحكومات العربية، بل ألقت بظلالها على العلاقة المجتمعية بين القوى السياسية المختلفة.
فشرائح واسعة من التيارات السياسية الأخرى اعتبرت الحركة الإسلامية خارج مظلة الإصلاح لأنها تدعو جميعا إلى تغيير جذري , وقد قبلت التيارات الأصولية بذلك – دون أن تدرى –الموقف الأصولي في صورة معكوسة , وإذا كانت شرائح واسعة من النخبة السياسية العربية قد ارتكبت خطأً تاريخياً بأن أحاطت الحركات الإسلامية السياسية بمواقف استئصاليةٍ وصل بعضها في تطرفه حد التنكر لفرض الجهاد ، فإن الحركات الأصولية هي الأخرى ارتكبت خطأً تاريخياً مماثلاً بالتوسع في ممارسة العنف حتى وإن بدا في صورة رد الفعل بما يعبرون عنه " بدفع الصائل " أي الدفاع الشرعي الخاص والغض من شأن النهج الإصلاحي ومن ينتهجونه ، إذ لم تر فيه سوى مهرب فرضه الجبن وخوار الهمم . ومع استحكام حالة التدابر والتقاطع بين حملة كل لواء بدت

الفكرتان متعارضتين بينما هما في الحقيقة تجتمعان في إطارٍ تراتبي .
أما المقدمة الثالثة والتي أراها ضرورية هي أن كلا الفريقين الحكومات والجماعات يدعي أنه يحرم قتل المدنيين وليس أدل على ذلك من الحملات الإعلامية التي تقوم بها تلك الحكومات لتثبت أنها قامت لخدمة الشعب والدفاع عن مصالح الشعب من جهة ، وما تقوم به الجماعات من جهة أخرى
وبعد هذه المقدمات وانطلاقا منها فإنني أستطيع أن أقرر إنه ينبغي على جميع طوائف الشعب العربي وخصوصاً النخب المثقفة أياً كانت مشاربها ورؤيتها أن تؤمن إيماناً حقيقياً بالحرية ، الحرية التي يكون فيها كل الفرقاء على استعداد أن يفسحوا المجال للطرف الآخر حتى يعبّر عن وجهة نظره بالكامل في إطارٍ متفقٍ عليه من الجميع وضمن سقفٍ يتفق الجميع على احترامه وعدم خرقه أو محاولة التعالي عليه والتطلع من فوقه ..
إنه يجب علينا إذا كنا نسعى سعياً حقيقياً لإشاعة روح الحب والوئام بين ربوع الوطن الواحد أن نبذل ما في وسعنا لمعرفة الحقيقة وإنصاف المظلوم أو على الأقل إهدار المرحلة الماضية على اعتبار تعذر الوصول فيها إلى وجهة نظرٍ متفقٍ عليها من قبل الجميع ، مع وجود عفو عام ممن يملك القدرة على ذلك وهم في هذه الحالة الدولة بغض النظر عن محاولة إسناد تهم الإرهاب وقتل المدنيين لأي من الطرفين أو المقولات السائدة اليوم على ألسنة البعض أنه لا مجال لمحاورة من حملوا السلاح ، مع

أن المنطق والحرص على مصلحة الوطن يملي علينا أن يكون أول ما ننادي به هو محاولة فتح الحوار مع هؤلاء لأن الذين لم يحملوا السلاح هم طرف في الحوار لا محالة ، أما هؤلاء الذين حملوا السلاح فنحن الذين في حاجة إلى إدخالهم إلى حلبة الحوار بعد أن دفعناهم دفعاً لمغادرة قاعاته من قبل ..

وفي ظل هذا المناخ يأتي الحديث عن موضوعات الندوة ..إن الحديث عن مكافحة الأفكار المتشددة وبالتالي مواجهة العنف لا يمكن فصله كما أسلفنا عن المناخ العام ولا يمكن تحميل طرف دون الآخر هذه المسؤولية منفردا فالمسؤولية تضامنيةٌ مشتركة ..

وفي الحقيقة فإن كثيراً من المصطلحات التي غالبا ما يستخدمها الكتاب والسياسيون وأهل الحكم اليوم ناعتين بها بعض فصائل التيار الإسلامي يعوزها الكثير من الدقة فمصطلح التطرف مثلا والتشدد هو مصطلح لا يمكن التسليم به من جهة واحدة حيث أن التطرف أو التشدد هو بالضرورة يكون نسبة لشيءٍ ما ، فالعلمانيون ينظرون إلى التيار الإسلامي بشكل عام على أنه تيار متطرف وكذلك التيار الإسلامي ينظر إلى التيار العلماني على اعتبار أنه تيار متطرف أيضا ..

فالإسلاميون يعتبرون كل من يرفض الفكرة الإسلامية هو إنسان تطرف عن الإسلام أو جنح بعيدا عنه ، وكذلك العلمانيون يعتبرون كل من يرفض أفكار التغريب اليوم وما يطلقون عليه الحداثة هو إنسان تطرف عن هذه المفاهيم أو جنح عنها ، ومن هنا تكون هذه النعوت نعوتاً

نسبية ينظر فيها كل طرف للآخر بمقدار ما يؤمن به كل طرف ..
وعلى هذا فيلزم الإحاطة بكل العوامل التي تدفع في اتجاه التطرف والغلو والإرهاب والعنف , وأن صحة الإحاطة المبتغاة مرتهنة بالبحث العلمي النزيه والموضوعي الذي يستهدف تنقية الدين مما يعلق به من الأحكام المبتورة والأفهام المغلوطة , وأن تلك العوامل منها ما يتعلق بأخطاءٍ وإفراط الأفراد والهيئات والمنظمات الإسلامية في فهم النصوص ومناط إعمالها وتنزيلها ومنها ما يتعلق بتفريط بعض الحكومات أو الهيئات الرسمية في العالم العربي فيما يتعلق بإعمال صحيح الدين أيضا في كثير من المسائل العامة المتصلة بحياة الناس وحبهم وتعلقهم بالهوية الحضارية للإسلام كخلفيةٍ لازمةٍ في ظل تنامي الأطماع الاستعمارية لقوىً عالميةٍ جديدة , ومنها أيضا ما هو مشترك بين هؤلاء وأولئك أعنى الأفراد أو المنظمات أو الحركات والحكومات في آن واحد .

أولاً : إفراط بعض الأفراد أو المنظمات أو الحركات الإسلامية :

1- احتكار الحديث باسم الإسلام أو احتكار تأويل أحكامه : لا شك أن ما يطمح إليه أفراد الحركة الإسلامية هو دعوة الناس إلى الفضيلة والهداية والتمسك بأهداب الدين وهو ما درج البعض على تسميته " بأسلمة المجتمعات العربية " وردها إلى تعاليم دينها الأصيلة كما نزلت على النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام الطيبين رضوان الله عليهم وخلفهم الصالح في القرون الأولى التي

هي خير القرون , ولا يشكك عاقل في إخلاص هؤلاء الشباب وغاياتهم وبواعثهم وقد ساءهم ما يعتمل في بعض مجتمعاتهم من فساد وانحلال واستغراب وإشاعة لمفاسد وتقاليد مستوردة فلزموا الدين يحتمون به من غلواء العلمانية واستبداد السلطات في الوقت الذي ينشغل فيه نظائرهم بسفاسف الأمور وتوافهها فانطلقوا بما يحصلونه من قدر قليل من العلوم الشرعية بفهمهم دون تدربهم وتلقيهم عن علماء ثقاة يمارسون الدعوة الإسلامية ويطبقون أحكام الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فأوقعهم قلة علمهم وندرة بضاعتهم سواءً في فقه العلوم الشرعية أو مفردات اللغة وأحكامها في عدم فهم مناط الأحكام والنصوص الشرعية والانتقائية في تحصيل الأدلة وصولا إلى نتائج مسبقة خلصوا إليها فيحصلون بعض النصوص دون بعضها الآخر والتصدر للفتوى على غير أهلية. فالإخلاص وحده لا يكفي للنجاة من المزالق فقد علمنا الهدى النبوي بضرورة مراعاة عاملين لقبول العمل أولهما أن يكون خالصا ً صادراً عن إخلاصٍ لله رب العالمين وثانيهما أن يكون صواباً موافقاً لكتاب الله وسنة رسوله الكريم وفي هذا تفصيل لشيخ الإسلام بن تيميه رحمه الله تعالى . فالإخلاص وحده غير كاف لجواز قبول كل ما يصدر عن هؤلاء الأفراد أو الحركات التي ينتسبون إليها من اجتهاد أو تأويل للنصوص والأحكام الشرعية أو تطبيقات عملية خاصة في قضية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وقضية الخروج على الأحكام التى أحاطها الإسلام بسياج منيع لئلا تضطرب الأمور في المجتمعات

الإسلامية وكما قال الشيخ يوسف القرضاوى " ولهذا كان أئمة السلف يوصون بطلب العلم قبل التعبد والجهاد حتى لا ينحرف عن طريق الله من حيث لا يدرى . فالتكفير والجهل هما صنوان لا ينفك أحدهما عن الأخر ولقد ارتبطت مدارس التكفير دائما بالغلو والتشدد فأهم الصفات التي تركها النبي محمد صلى الله عليه وسلم لترسم العلامات المميزة لمدرسة التكفير بأننا نحقر صلاتنا إلى صلاتهم وصيامنا إلى صيامهم فهم صوامون قوامون لله يؤدون الصلاة بعناية , ولقد كان أمر الله سبحانه لنبيه محمد ومن معه بالاستقامة مرتبطا بالنهى عن الطغيان والتشدد حينما قال سبحانه (فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا) لأن الأمر بالاستقامة وما يستلزمه من يقظةٍ دائمةٍ وحرصٍ دائمٍ لعدم الوقوع في الخطايا والذنوب أو البعد عن النهج المستقيم قد يدفع إلى الغلو والإفراط.

ولا يليق بنا أن نلتفت عن مسئولية المؤسسات الدينية الرسمية وتقصير العلماء في تأهيل هؤلاء الشباب وتلقينهم صحيح الدين , ولا يصح التسليم بتبريرات تساق في نفي مثل هذه المسؤولية المفترضة من رفض هؤلاء الشباب الذين يلتحقون بحركات وتنظيمات تنتهج أساليب وآليات لا تقبل التصحيح من علماء الدين الرسميين , لأن السبب الرئيسي في التفات الشباب عنهم عدم صلاحية نفر غير قليل من هؤلاء العلماء أو المؤسسات الدينية الرسمية للقيام بدور القدوة وهم يرونهم رؤى العين لا يقومون بواجبهم الذي أناطه الله إلى العلماء " لتبيننه للناس ولا تكتمونه " فيسكتون عن تجاوز بعض الحكام والحكومات من مخالفات

شرعية ودنيوية واستبدادهم وقهر شعوبهم في بعض البلاد التي تشهد تنامي ملحوظ لظاهرة العنف بل لا يتورع بعض هؤلاء العلماء عن إطراء الحكام وحكوماتهم وتبرير كل ممارستهم الخاطئة في حين أنهم يسارعون إلى إصدار بيانات عاجلة تشجب وتدين وتستنكر أي فعل أو قول قد يصدر عن مثل هؤلاء الأفراد أو تلك الحركات الإسلامية التي عادة ما يصفونها بالمتطرفة مما باعد الشقة بين العلماء والمؤسسات الدينية الرسمية والحركات والجماعات الإسلامية الشعبية . بل وقد شاع اتهام هؤلاء الشباب بالعمالة لدول أجنبية أو للصهيونية وهى اتهامات سطحية لا تحقق شيئا يذكر في احتوائهم أو تخويف العامة منهم فلا يصدقها رجل الشارع البسيط حتى وإن رفض بعض ممارستهم وأذكر أننا وقت أن كنا نحاكم –بعد اغتيال الرئيس المصري الراحل أنور السادات –فوجئنا بحملة إعلامية مكثفة تتهمنا بالعمالة لدول أجنبية على غير الحقيقة مما يجعلني وجيلي من الإسلاميين لا نقر بصحة أي اتهامات مماثلة تساق هذه الأيام لشباب اليوم من الحركات الإسلامية.

2- انتشار أدواء سلوكية تنجم عن عدم سلوك سبل طلب العلم الصحيحة :

وحينما نتحدث عن مثل هذه الآفات لا نمارس جلد الذات بمعزلٍ عن كافة الأسباب المحيطة بالظاهرة أو أسباب ظاهرة الغلو والعنف والتطرف , وإنما نمارس شيئاً مهماً من النقد الذاتي , فطوال سنوات طويلة كنا نتحاشى فيها ممارسة مثل هذا النقد تحت دعاوى عدم الملاءمة طرح

مثل هذه النقاط أو الملاحظات عبر وسائل إعلام أو منتديات عامة قد يرتادها العدو والصديق خصوصاً مع تعرض الشباب المسلم في بلدان مختلفة لحملاتٍ ظالمةٍ ومكثفةٍ متحاملةٍ في وقتٍ مسبق تتهمهم بالتطرف والرجعية وتطالب بنفيهم ومن الأسف أن الإذعان لمثل هذه التبريرات أضر ولم يفد إذ تمددت المخالفات وتنوعت الأخطاء مع تمسك كل فصيل من فصائل الحركة الإسلامية في أوساط الشباب بقراءته للنصوص أو فهمه للواقع ومن ثم تمسكه بصحة الآليات والوسائل التي اتبعها لتحقيق الأهداف التي يتبنى تطبيقها في مجتمعاته أو ردّ المظالم التي يتعرضون لها . وتعرض كل فصيل بالنقد والتجريح لما عداه من الفصائل أو الهيئات أو الجماعات الأخرى داخل الحركة الإسلامية ويكافح من أجل تمرير مشروعه الخاص , فسادت أدواء سوء الظن بالآخرين والغيبة والنميمة والتقليد والمحاكاة وهى أدواء قاتلة فإذا كان الدرس الذي أراده الله سبحانه للأمة المسلمة عبر العصور والأمصار في هزيمة الجيش المسلم الذي يقوده أشرف الخلق النبي المعصوم محمد رسول الله صلى الله عليه في غزوة أحد لعدم اتباع بعض الجنود من الرماة أوامر القائد في المعركة وهو ما يعكس تأثر الأمة بذنب الفرد ومعصيته فإن شيوع هذه الأدواء هى بالتأكيد من أهم أسباب ظاهرة الغلو والتطرف بالمخالفة لما قرره الله سبحانه للجماعة المسلمة في القرآن الكريم بقوله:(يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم

أخيه ميتا فكرهتموه) الحجرات : 12 وقوله سبحانه (فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن أتقى) النجم : 32 وما حذرنا منه النبي الكريم بقوله : " إذا سمعتم الرجل يقول : هلك الناس فهو أهلكهم " رواه مسلم . فالذي لا شك فيه أن إعجاب كل ذي رأى برأيه مع ضعف الشعور بالمراقبة من الله سبحانه لقوله سبحانه (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) فالنتيجة المنطقية هي عدم السعي إلى تحكيم شرعه في المعاملات وطريقة الخروج من المحن وفض المنازعات الفقهية والفكرية وفق القاعدة الربانية (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) وعدم التحلي بأدب الاختلاف مما أدى بالضرورة إلى حالةٍ من التدابر والتباغض والغلو في التعامل مع الغير سواءً من داخل الحركات الإسلامية أو خارجها . ولا شك أن قدراً كبيراً من تكريس هذه الأدواء يرجع إلى غياب العلم كما أشرنا وقد أشار لذلك الشاطبى في الاعتصام حينما اعتبر أول أسباب الابتداع والاختلاف المذموم المؤدى إلى تفرقة الأمة شيعاً وجعل بأسها بينها شديداً أن يعتقد الإنسان في نفسه أو يعتقد فيه أنه من أهل العلم والاجتهاد في الدين وهو لم يبلغ تلك الدرجة فيعمل على ذلك ويعد رأيه رأياً وخلافه خلافاً , وجاء في الحديث الذي رواه عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يقبض الله العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلّوا وأضلّوا .

ثانياً: تفريط الحكومات العربية والهيئات الرسمية :

كان البون الشاسع بين ما يطمح إليه الشباب من خلال مقارنتهم بين المجتمع المسلم الفاضل الذي يدعوا إليه الإسلام وكونوا صورته من خلال قراءاتهم في بطون الكتب سواء المتخصصة في التراجم والسير أو التاريخ الإسلامي وبين واقع المجتمعات التي يعيشون بها وتعلن أنها مجتمعات إسلامية وتنص دساتيرها على أن الإسلام هو المصدر الرئيسي في حين أن الرذيلة تسود وتقنن باسم الفنون وتحول المنكر معروفا والمعروف منكراً والحق باطلاً والباطل حقاً والرشد غياً و الغي رشداً وتُقصي كثيراً من أحكام الشريعة وتستبدل بأحكام وضعية حتى إذا ما طالب هؤلاء بعودة الأمور إلى نصابها اتهموا بالرجعية والتطرف.

1- التعذيب والعنف وانتهاك حقوق الإنسان : الذي تمارسه بعض الحكومات مع بعض هؤلاء الشباب الغاضب أو المعارض كان من أهم الأسباب التي ولدت مناخ العنف والتطرف والإرهاب فالعنف يولد عنفا والكبت يسبب الانفجار وفق طبائع الأمور . وقد ولدت مدرسة التكفير والهجرة في رحم السجن الحربي والمعتقلات الأخرى في مصر في الستينيات حينما استنكر ثلة من شباب الإخوان المسلمين الذين تعرضوا للتعذيب البشع على يد السجانين والجلادين أن يفعل بهم هذا مسلمون !!

وأيضاً في مصر في أواخر الثمانينات وأوائل التسعينات حينما أشعل الأجواء بالتوتر سياسات أتبعها وزير الداخلية الأسبق زكي بدر بالاعتقال والعقاب الجماعي وأعرب عن تبنيه منهجية الضرب في سويداء القلب كما أسماها مما ولد

عنفاً مضاداً أعتبره البعض في دوائر الجماعات الإسلامية في مصر آنذاك دفعاً للصائل ودفاعاً شرعياً عن النفس والمال والعرض .

2- إقصاء الإسلاميين من منابر العمل السياسي والسلمي المشروع : لا شك أن سياسة استبعاد الإسلاميين في بعض الدول العربية والحرص على إبقائهم في دائرة القوى المحجوبة عن المشروعية وإقصائهم وعدم التصريح لهم بممارسة أنشطتهم بطريقة قانونية ودستورية كان لها أبلغ الأثر في توتر الأجواء ولجوء البعض داخل هذه التجمعات أو الجماعات إلى تكفير السلطات والحكام والمؤسسات التابعة لها ولجوء آخرين إلى العنف . في حين أن دولاً عربية أخرى انتهجت نهجاً مخالفاً وسمحت للحركات الإسلامية بها بالعمل السلمي ووفرت أمامهم آليات مختلفة وأوعية تستوعب طاقاتهم مما نزع فتيل العنف والتوتر بصفة عامة كما هو الحال في الأردن واليمن والكويت وغيرها.

3- الانتقاص من حقوق الإنسان :
خلص علماء الاجتماع إلى تأثير سياسة العقاب الجماعي التي تمارسها السلطة أي سلطة على التيار العريض الذي ينتسب إليه بعض النشطين في مجال استخدام العنف لتحقيق الأهداف السياسية أو الدينية يؤدى إلى تفاقم ظاهرة العنف ويحقق لها زادا مهما في فقه الغربة الذي تشعر به والثابت تاريخيا في مصر أن ظاهرة التكفير التي اعتقدها بعض المنتسبين إلى " جماعة الإخوان المسلمين " في الستينات ولدت من داخل السجن الحربي والسجون الأخرى تحت سياط التعذيب وهراوات الجلادين . ولذلك فإن " الإقصاء " الذي تمارسه بعض السلطات على النحو الذي جرى في مصر سنوات طويلة للحركات الشعبية وفي صدارتها " الإسلامية " واتخاذها تدابير استثنائية لوضع العقبات والعراقيل في طريق ممارستهم نشاطاتهم الدعوية أو السياسية المشروعة أهمها الاعتقال والتعذيب واحتجاز الأقارب والنساء كرهائن كان له أبلغ الأثر في نمو ظاهرة التطرف والتكفير و العنف والعنف المضاد
4- شيوع الفساد في إدارات الحكم والخلل في توزيع الثروات واحتكار قلة للثروة والسلطة ومعاناة الأغلبية من الفقر وتأثرهم بالفساد والمحسوبية وتوفير أموال البنوك لقلة ذات محسوبية ونفوذ وهمي وحرمان الخريجين من أبناء الشعب من استغلال تلك الأموال الداخلية في توظيف طاقاتهم وتحسين دخولهم .
5- الضعف الرسمي تجاه قضايا الأمة ومتغيراتٍ إقليميةٍ ودوليةٍ إسلاميةٍ وعربية : لا شك أن مساحة واسعة لتضخم

أجواء التطرف والتشدد والعنف توفرها انتهاج بعض الإدارات الغربية مثل الولايات المتحدة سياساتٍ خاطئة ً تجاه الحقوق العربية والإسلامية والانحياز السافر للكيان الصهيوني على حساب حقوق الشعب الفلسطيني وتغطية جرائم الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة ضد رموزه وقياداته وقواعده واحتلال العراق وجرائم التعذيب التي تقع كل يوم داخل السجون أو خارجها فضلا ً عما سبق أن وقع من تدخل في أفغانستان وبقاء القوات الأمريكية هناك كل هذه الأمور وغيرها مما يلهب مشاعر شبابٍ غاضبٍ وقطاعاتٍ أخرى من الشعوب العربية خصوصاً وهي تلحظ ضعف المواقف الرسمية للنظام العربي فيسعى البعض إلى العنف تحت هذه المؤثرات في ظل غيبة التناغم بين المواقف الرسمية والمطامح الشعبية.

ثالثاً: وهناك عوامل مشتركة أبرزها :

التكفير السياسي سياسة إقصائية متبادلة :

الذي لا شك فيه أن مما يعوق التئام الأمة التئاما صحيحا تصاعد وتيرة التكفير السياسي من منطلقات دينية وعقائدية , ورغم مخاوف البعض تجاه مثل هذه القضية مخاوف صحيحة فالتكفير من أهم أسباب انقسام الأمة مما يعوقها في التوحد والتماس أسباب النهضة والنصر .

لكن الرصد الأمين لمجريات الأمور في بعض البلاد العربية والإسلامية يوصل لنتيجة ارتكازية تتمثل في تبادل الأطراف تبنى سياسة الإقصاء وتمارسها على أرض الواقع , وإذا كانت بعض المدارس الفقهية والفكرية السلفية تمارس التكفير العقائدي أو السياسي ضد طوائف أو أفرادٍ

أو هيئاتٍ فإن المؤسف له أن بعض الحكومات العربية التي استمرأت الاستبداد والإقصاء تسعى جاهدةً إلى استخدام ذات المعيار في تكفير معارضيها سياسيا بإبعادهم وإقصائهم , غير أننا في الوقت ذاته لا نعول على تضخيم تلك المخاوف لأن مدرسة التكفير عبر التاريخ الإسلامي مدرسة مرجوحة تفقد مؤثراتها الوجدانية والفارق في طبيعة احتوائها هو مدى ملاءمة الإجراءات التي يمكن أن تراعيها الأمة في سبيل استئصال أسبابه وفي هذا الخصوص لا يمكننا إلا التأكيد على مدى مسئولية العلماء والمؤسسات الدينية الرسمية والشعبية على السواء في بطء علاج هذه الظاهرة وبالتالي مسئوليتهم في تفاقمها , فغياب دور العلماء والمؤسسات الدينية في لعب الدور الإيجابي المنوط بهم أفقد الشباب الثقة فيهم فسكوت العلماء أو المؤسسات الدينية تسبب في تجاوزاتٍ كثيرةً للحكام والسلاطين.

لذلك فأهم الأسباب التي تحقق الانقسام في الأمة إضافةً لما سلف بيانه هو عدم حسن معاملة المغالين والحرص على استيعابهم فيرجع إلى سوء معاملتهم واعتقالهم وسجنهم استمرار الأزمة خصوصاً مع ما نراه مؤخراً في بعض البلاد الإسلامية من ربط منح الحرية لشباب الحركة الإسلامية بضرورة التوبة أو العدول عن بعض أفكارهم التي تعارض السلطة وهذه من أهم نذر الخطر وحديثي هنا حديث القياس فحسب , فليست مثل هذه الحكومات على ما عليه حكومة عليّ كرم الله وجهه ولا الشباب المسلم خوارج, لكن أهم أسباب الحوار هو ضمان حريته في

أجواء مفتوحة دون قيود وقد سعى الإمام علي كرم الله وجهة إلى الحوار مع المغالين من الشباب المتحمس والذين دمغوا تاريخيا بالخوارج وقال عنهم هم إخواننا بغوا علينا وكف بأسه عنهم ما كفوا بأسهم عن المجتمع.

رابعاً : بوسائل العلاج :

1- توفر الإرادة :- إذا وصلت قناعات الأطراف المشتركة إلى ضرورة البحث عن وسائل للعلاج وعبور نفق العنف المظلم سواء كان ذلك لدى السلطات الرسمية أو دوائر نافذة داخلها أو لدى النخب الثقافية والفكرية والسياسية والدينية في المجتمعات العربية والإسلامية فلا بد أن تتحد الإرادات لصوغ منهجٍ متكاملٍ يكمل بعضه بعضاً بحيث تصب كل التدابير مجتمعةً سواءً أكانت أمنيةً أو سياسيةً أو فكريةً في اتجاه حل الأزمة ولا يعتمد على الحل الأمني وحده في العلاج واستبعاد كل التدابير والإجراءات الأخرى

2- لذلك فحري بنا ونحن نرتب صفوفنا أن نطالب الحكومات العربية أن تعيد الاعتبار للإسلام وتنزله المنزلة التي يستحقها وتعمل بصدق وجدية لنزع فتيل الصراع بين بعض أطراف النظام الرسمي العربي والحركة الإسلامية قبل أن يكلفنا هذا الصراع المزيد من الخسائر ويحرمنا قوة كبيرة توفرها لنا وحدة الصف.

3- نحو دمج الجماعات والحركات الإسلامية في المجتمعات العربية:

لحقيقة أن موقف الحكومات العربية أو كثيرٍ منها من محاولات الإدماج يحتاج إلى معالجاتٍ مجتمعيةٍ متنوعةٍ من أجل حملها على التجاوب مع حركات الإصلاح

السياسي التي تنادى بها هذه المجتمعات وإلغاء سياسة الإقصاء , وما نحرص عليه أن تستمع تلك الحكومات إلى نصائح مواطنيها دون أن تفسرها على أنها صادرة من مناهضين تحاصرهم بتدابير أمنية استثنائية بل صادرة من محبين لبلدهم مخلصين لشعوبهم فالوطنية ليست حكراً على رجال السلطة وأتباعها دون غيرهم وعلى هذا فهي في حاجة إلى تعزيز احترام القانون في علاقتها بمواطنيها كافة ً والتوقف عن معاملة المعارضين بقوانين استثنائيةٍ وسياساتٍ إقصائيةٍ تمثل بيئة ً حاضنة ً للتشدد وتوابعه .
وعلى النخب السياسية بمختلف أطيافها أن تبدأ حواراتٍ جادة ً مع الحركات التى تمارس العنف أو تشعر بالإحباط لصوغ علاقةٍ صحيةٍ معها للمشاركة في بناء المستقبل على أرضية التعاون والتعارف بدلا من التناكر والتناحر وهو الأمر الذي يفتح الباب لدوائر رسميةٍ أن تتواصل في مراحل متقدمة مع مثل هذه الحوارات .
ومن أهم الإجراءات التي نراها لازمة لنزع فتيل العنف في المجتمعات العربية وعلاج ظاهرة التطرف والتكفير ودمج أعضاء الجماعات الدينية في المجتمع المدني :
- معاملتهم كمواطنين داخل المجتمع لهم من الحقوق وعليهم من الواجبات وإفساح المجال للدعوة السلمية فمن أهم أسباب العنف وضع العقبات والعراقيل في وجه الدعوة السلمية حتى وإن كانت تمثل معارضة شديدة للسلطة أو الحكومة طالما أنها سلمية وشرعية وفي حالة الخلاف علينا اللجوء إلى الحوار وليس إلى تكريس سياسة العنف للدولة ضد المعارضين من أبناء الوطن.

- إن الاعتراف السياسي بالتيار الديني سيساهم إلى حدٍ كبيرٍ في تخفيف الاحتقان القائم اليوم أو على الأقل سيساهم في محاصرة التيار الذي يستمر في سياسة العنف ، حتى على سبيل المواجهة الذاتية ، فإن أي عاقلٍ ناهيك عن أن يكون مسلماً يتحاكم إلى شرع الله تعالى ويريد أن يحكمه في العباد والبلاد ، لا بد له أن يتساءل في ظل مناخٍ عام يعينه على أن يعبر عن وجهة نظره ويطرح ما يريد لا بد له أن يتساءل والحال هذه لماذا هو يلجأ إلى وسائل أخرى ..

إن الاعتراف السياسي بالتيار الديني سيساهم حتماً في الاستفادة من طاقات الأمة الشابة والمتمثلة في شباب الحركات الإسلامية ..

كما إن الاعتراف السياسي بالتيار الديني سيساهم بشكلٍ مباشرٍ في إدماج تلك التيارات السياسية في الحركة الديمقراطية للمجتمع إذا ما اتفق على تعريف عام للديمقراطية في ظل منطلقاتنا وحضارتنا وقيمنا وسلوكياتنا ..

- قيام رجال الشرطة بواجبهم الوطني والديني تجاه الآداب والمخدرات وانحرافات الشباب ومعالجة انحراف كبار الموظفين المستغلين لمناصبهم.

- إلغاء العمل بقوانين الطوارئ التي تعد سيفاً مسلطاً على رقاب العباد.

- إطلاق حق المواطنين في التعبير عن آرائهم ومعتقداتهم بصورةٍ سلمية.

- ترشيد الإعلام حتى لا يستفز مشاعر المواطنين ويشعرهم أن الهدف هو مسخ الهوية والأخلاق الإسلامية.
- تهذيب البرامج الإعلامية والأفلام والمسلسلات : نحن مع الإبداع ومع الفن الذي يرتقى ويطور مشاعر الإنسان لا أن يدغدغ عواطفه فالتهكم على المعتقدات والأخلاق الإسلامية في برامج التلفاز أو بعض الأفلام من أهم الأسباب التي تكرس العنف.

وأخيرا .. ينبغي أن ندرك أن التعددية والتنوع شيء هام وصحي وأن شيوع ثقافة التنوع داخل الأمة الإسلامية يبعث على حيويتها وعافيتها بما يلزم معه أن نعمق مساحة الاتفاق ونوسعها خصوصاً في هذا الظرف الذي نعيشه والتحديات التي نواجهها وهو ما أحب أن أشير إليه بضرورة إعادة ترتيب الأولويات وما يمكن أن نتفق حوله كثير وفي صدارته تأكيد هويتنا الإسلامية والنسق الحضاري للإسلام وموقفنا من العدو الصهيوني والانحياز الأمريكي و السعي من أجل تحقيق تكتلٍ إسلاميٍ وعربيٍ كقوةٍ تفرض نفسها على العالم.

الإسلام الحضاري..
مشروع النهضة الماليزي

طرح رئيس وزراء ماليزيا داتو سري عبد الله أحمد بدوي مشروعًا لنهضة الأمة على هدي تعاليم الإسلام؛ وذلك من أجل استعادة دور الحضارة الإسلامية، ويسمى هذا المشروع بـ"الإسلام الحضاري" (Civilizational Islam/ Islam Hadhari) ، وهو اصطلاح يقصد به المنهج الحضاري الشامل لتجديد الإسلام في ماليزيا، ويستخدم كمحركٍ للأمة نحو التقدم والتطور والريادة الإنسانية.

ويهدف هذا المشروع لتقديم الإسلام بمنظوره الحضاري باعتباره دينًا يشمل كافة جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ويلبي متطلبات الروح والبدن والعقل، ويعالج قضايا الفرد والجماعة والدولة. كما يعرض هذا المشروع منهجا ً شاملا ً ومتكاملا ً للعمل بالإسلام على نحو يميزه عن مناهج الدعوة والعمل الإسلامي كالصوفية والحركات الإسلامية السياسية، فضلا عن جماعات العنف والتكفير.

المبادئ العشر

يعرّف رئيس وزراء ماليزيا مشروع الإسلام الحضاري فيصفه بأنه: "جهد من أجل عودة الأمة إلى منابعها الأصيلة، وإعطاء الأولوية للقيم والمعاني الإسلامية الفاضلة لكي توجه الحياة وترشدها"، **ويحدد مبادئه في الآتي:**

1- **الإيمان بالله وتحقيق التقوى:** وذلك لأن الإيمان بالخالق هو العامل الأساسي في الاستخلاف وعمارة الحياة، بينما تقوى الله تفضي إلى جليل الأعمال وأحسن الأخلاق وأعدل العلاقات بين الناس. وبالتالي لا يقتصر دور هذا المبدأ الإيماني على تزكية الروح وتنقية المعتقد وتصحيح العبادة، وإنما يتعداه إلى العناية بالسلوك وأعمال الجوارح.

2- **الحكومة العادلة والأمينة:** التي جاءت عن طريق الشورى والاختيار الحر دون قهر أو إكراه، وتعمل على بسط العدل ونصرة المظلومين وردع الظالمين، وترد الحقوق إلى أهلها، وترعى مصالح الأفراد على اختلاف أعراقهم ومعتقداتهم، كما تقوم على قضاء حوائجهم بأمانة وتجرد وإخلاص.

3- **حرية واستقلال الشعب:** إن الحرية هي القيمة الكبرى في الحياة الإنسانية، وهي الحافز للعمل والإبداع، وبها يكون الإنسان مستقلاً وحرًّاً في قراراته؛ وقد خلع عن رقبته طوق العبودية والتبعية.

4- **التمكن من العلوم والمعارف:** فالعلم هو المرتكز الأساسي لنهضة الأمة، والوسيلة التي يستعان بها على عمارة الأرض، وتسخير ما فيها، وترقية الحياة، والانتفاع بالطيبات من الرزق.

5- **التنمية الاقتصادية الشاملة والمتوازنة:** التي تعني التنمية بكامل أبعادها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والروحية والمادية والثقافية والحضارية، وتجعل صلاح الإنسان غايةً وهدفاً لها.

6- **تحسين نوعية الحياة:** وتعني سلامة الحياة واستقرارها وجودتها وتوفير متطلباتها الضرورية.

7- **حفظ حقوق الأقليات والمرأة:** رعاية حقوق الأقليات العرقية والدينية، وكذلك احترام المرأة وتقدير مكانتها وتعزيز دورها الإيجابي في المجتمع.

8- **الأخلاق الحميدة والقيم الثقافية الفاضلة:** العناية بالأخلاق الفاضلة والقيم المعنوية السامية في كل المجالات والجوانب، وأن تكون هي الأساس لتربية الأجيال.

9- **حفظ وحماية البيئة:** العمل على حماية البيئة والحفاظ عليها ومنع ما يهددها من عوامل التلوث والآفات والإهلاك.

10- **تقوية القدرات الدفاعية للأمة:** وذلك للحفاظ على سلامة ووحدة أراضي الدولة وحماية المصالح العليا لشعوبها والمحافظة على استقلالها وسيادتها.

لماذا الإسلام الحضاري؟

ويحدد عبد الله بدوي الأسباب التي دفعته لطرحه هذا فيقول: "إن الإسلام الحضاري جاء لنهضة وتقدم المسلمين في الألفية الثالثة، ومن أجل المساعدة على دمجهم في الاقتصاد الحديث". كما أنه يصلح أن يكون "الترياق للتطرف والغلو في الدين"، وذلك لأنه "يشجع على التسامح والتفاهم والاعتدال والسلام". وفي بلد متعدد الثقافات والأعراق فإن الإسلام الحضاري يهدف لمصلحة الجميع على اختلاف عقائدهم وأديانهم وأعراقهم، ويضيف: "من المؤكد أننا كمسلمين يجب أن نعامل غير المسلمين بالحسنى والإنصاف"، مشيرًا إلى أن هذا المشروع "سوف يؤدي إلى الامتياز والتفوق، وسيكون مصدرًا للفخر والاعتزاز ليس للمسلمين وحدهم، وإنما لغير المسلمين أيضًا".

ويحدد بدوي سمات المجتمع الماليزي الذي يستهدف مشروع الإسلام الحضاري إيجاده في ثماني سمات هي:

1- أن يتحلى بالأفكار الوسطية والمعتدلة التي تساعد على تقوية بناء الأمة والدولة.

2- قوامه الأخلاق الفاضلة حتى يكون قدوةً للأمة كلها والناس جميعًا.

3- يتّصف بالمسؤولية والجدية في تأدية دوره وواجباته.

4- تكون فيه العلاقات بين أفراده مترابطة وتقوم على الثقة والأخلاق الفاضلة.

5- يتصف بالنظام ويحترم سيادة وحكم القانون.

6- متحد الكلمة ومتعاون ومتكافل فيما بينه.

7- تطبق الدولة تعاليم الإسلام الحقيقي وتحقق مقاصد الشريعة الإسلامية.

8- تكون الدولة رائدةً وقائدةً وليست تابعةً وذليلة.

مظاهر الإسلام الحضاري وعناصره

وفي رؤية رئيس الوزراء الماليزي فإن أهم مظاهر الإسلام الحضاري تتمثل في الآتي:

العالمية: لأنه يستمد روحه ومقاصده من الإسلام الذي هو رسالة للناس كافة ورحمة للعالمين.

الربانية: حيث مصدره الأساسي وحي الخالق العظيم، ويبتغي ربط الناس بالله رب العالمين؛ فهي ربانية الغاية والهدف، كما هي ربانية المصدر والمنطلق.

الأخلاقية: فالأخلاق الفاضلة التي تفضي إلى سلوك رشيد وعلاقات طيبة بين البشر هي أبرز ما يدعو إليه الإسلام الحضاري.

التسامح: وذلك من أجل مجتمع يسوده الاستقرار والسلام والتعاون والتكافل بكافة أعراقهم ومعتقداتهم، وتفهم الآخرين واحترام خياراتهم العقائدية والثقافية.

وهو يرى أن للإسلام الحضاري سماتٍ وخصائص تميزه عن غيره من المناهج أبرزها ما يلي:

التكامل: تتكامل فيه معارف الوحي مع علوم العصر، وتتكامل فيه الجهود من حيث تناوله لشؤون الفرد والمجتمع والدولة.

الوسطية: يقوم المشروع على الاعتدال في منهجه، ويعتمد على التدرج واليسر في طريقة تطبيقه، ومن خلال ذلك يكون التوازن بين مصلحة الأفراد ومصلحة الجماعة، والتوازن بين متطلبات الروح والمادة، وبين المثال والواقع.

التنوع: من حيث مادته التي تغطي مجالات عديدة، وتهتم بمستويات مختلفة، كما تستوعب المتغيرات، وتأخذ من التجارب والحكم البشرية النافعة والصالحة.

الإنسانية: بمعنى أنه رسالة موجهة إلى الإنسان، وتهدف إلى رعاية مصالحه الضرورية والحاجية والتحسينية، وكفالة حقوقه الأساسية، وحفظ دينه وعقله ونسله وعرضه وماله.

عناصر الإسلام الحضاري

يقوم مشروع الإسلام الحضاري -كما يطرحه عبد الله بدوي- على عشرة عناصر أساسيةٍ ينبغي على المسلمين أفرادًا وجماعاتٍ العمل على تحقيقها، وهي:

1- **التعليم الشامل:** الذي يجمع بين معارف الوحي وعلوم العصر، ويغطي فروض الكفاية والأعيان ويؤدي واجبات الوقت دون تقصير.

2- **الإدارة الجيدة:** التي تحسن إدارة الموارد البشرية والمادية وتوظيف الاستخدام الأمثل لها.

3- **التجديد في الحياة:** بمعنى ترقية أساليبها من ناحية التمدن والحضارة.

4- **زيادة جودة الحياة:** وتوفير متطلبات الحياة الكريمة على أجود هيئةٍ وأكمل حالة.

5- **قوة الشخصية:** من حيث الإخلاص والأمانة؛ فالإخلاص أساس الأقوال والأعمال، بينما الأمانة عماد المجتمع والدولة، وبغيرهما لا يمكن إيجاد الإنسان الصالح والمجتمع الصالح. وهي أخلاق تقوم عليها الحضارات، وبغيابها تزول وتغرب.

6- **الحيوية والنشاط:** من حيث استجابته للمتغيرات وإدراكه لمتطلبات الحياة المتجددة ومسائلها المتشعبة.

7- **الشمول والسعة:** يقوم المشروع على الفهم الشمولي للإسلام؛ فهو لا يركز على جانب دون الآخر، ولا يأخذ تعاليم الإسلام مجزأة. ويعتبر الإسلام منهج حياةٍ كاملاً؛ فهو عقيدةٌ وعبادة، وأخلاقٌ ومعاملة، وتشريعٌ وقانون، وتربيةٌ وتعليم، ودولةٌ ونظام، يتناول مظاهر الحياة كلها، ويحدد منهاجًا للسلوك البشري في كافة أطواره.

8- **العملية والواقعية:** لا يجنح إلى المثالية المجردة؛ فهو منهج عملي واقعي من حيث مراعاته واقع الحياة وطبيعة الإنسان وتفاوت الناس في استعداداتهم ومداركهم وحاجاتهم ومطالبهم.

9 - **الاستقلالية وعدم التبعية للأجنبي:** سواءً كانت تبعيةً فكرية أو ثقافية أو اقتصادية وسياسية.

10- **تعزيز المؤسسة الأسرية:** فالأسرة هي اللبنة الأساسية في المجتمع، وبصلاحها يصلح المجتمع وتترابط علاقاته وتتوحد مشاعره.

التحديات التي تواجه الإسلام الحضاري

وبعد أن يعرض رئيس الوزراء الماليزي لجوانب رؤيته يحدد جملة من التحديات التي تواجه مشروع الإسلام الحضاري، وهي في جملتها تحديات داخلية، أبرزها:

1- **الجمود والتقليد:** يقف تيار الجمود والتقليد عقبة أمام محاولات التجديد والاجتهاد بدعوى الإبقاء على القديم وإن لم يكن صالحًا لعصرنا؛ وهو تيار يعبر عن نفسه في الجمود المذهبي والتقليد الفكري.

2- **التطرف:** وهو تيار أفرزته المشكلات والاختلال العميق في المجتمعات المسلمة، ويعبر عن نفسه في حركات التطرف الفكري والسلوكي.

3- **الانعزال والترهب:** وهو تيار ينتشر وسط الأمة الإسلامية، وتغذيه المواقف السلبية الداعية إلى الزهد والرهبنة والابتعاد عن الدنيا والانصراف عنها كلية.

4- **العلمانية:** وهي اللادينية التي ترفض ارتباط الدين بالحياة، وتوجيهه لجوانبها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وتحارب تدخل تعاليم الدين في شئون الدولة والحكم.

5- **أحادية المعرفة:** المعرفة الجزئية سواءً بالشرع أو الواقع تؤدي إلى نظرةٍ جزئيةٍ للأمور وتحجب عن صاحبها معرفة الأبعاد الحقيقية للقضايا، وبالتالي يكون حكمه قاصرًا وعاجزًا عن المعالجة الوافية، ولا بد من معرفة بالشرع والواقع معًا.

6- **الضعف في إدارة الوقت:** إن إهدار الوقت وعدم إدراك قيمته من أوضح أسباب الفشل والتردي في الحياة العامة في البلاد الإسلامية.

بروفيسور عبد الله محمد زين

داتو بروفيسور عبد الله محمد زين، وزير الشئون الإسلامية والأوقاف بماليزيا هو أحد أبرز المفكرين الماليزيين الذين ساهموا في المشروع، وهو أستاذ سابق للدراسات الإسلامية بالجامعة الوطنية الماليزية، حصل على درجة الدكتوراة من جامعة الأزهر، وعمل نائبًا لمدير جامعة العلوم الإسلامية بماليزيا. وله مساهمات في مجال الفكر والدعوة الإسلامية، وعرف بالاعتدال والوسطية.

وقد شرح محمد زين المشروع في كلمة ألقاها أمام المؤتمر العالمي حول قضايا الإسلام الحضاري، فقال: "الإسلام الحضاري هو مدخل لتجديد المجتمع المسلم، ويقدم منهجًا جديدًا وصحيحًا لفهم الإسلام في الوقت المعاصر. وعليه فإن الإسلام الحضاري هو جهد لإعادة دور الحضارة الإسلامية التي تقوم على القرآن والسنة، ولا يمكن أن ينحرف عن العقيدة الصحيحة".

ويفسر أسباب وتوقيت طرح المشروع، فيقول: "لأن الغربيين يسيئون فهم الإسلام ويتهمونه بالتطرف وينظرون إليه نظرة سلبية؛ فقد قامت الحكومة الماليزية بالدعوة لهذا المشروع".

وهو يرى أن "الإسلام الحضاري يؤكد على تنمية الجوانب الحضارية التي تستند على العقيدة الصحيحة، كما يهتم بتحسين وتطوير نوعية الحياة عبر المعرفة والعناية بالجوانب الروحية والمادية. وهذا المشروع يتسق ويتناغم مع مبادئ خطة الإستراتيجية العشرينية التي تهدف إلى أن تصير ماليزيا بحلول عام 2020 دولة صناعية متقدمة ومتطورة، وهذه التنمية المراد تحقيقها ليست تنمية للقطاع الاقتصادي فحسب، بل هي تنمية تشمل الجوانب الاجتماعية والروحية والثقافية والمادية".

ويولي مشروع الإسلام الحضاري أهمية خاصة لبناء الذات؛ فهو "يركز على المعرفة والتعليم والمعرفة العقلية والنقلية، كما يشجع على معرفة وتوظيف تقنية المعلومات.

والمشروع لا يعني الإسلام التحرري بمعنى التحرر من القيود الأخلاقية أو التأثر بالغرب، ويغمض العين عن الجوانب السلبية في الحضارة الغربية".

ولا يتعجل زين تطبيق المشروع أو فرضه سريعًا، ويقول: "ستجتهد الحكومة الماليزية في تنزيل ذلك على الواقع بسلاسة وتدرج؛ لأن التطبيق الحكيم والمتأني يؤتي ثمارًا جيدة، وإلا فمن الممكن أن يرفض المجتمع المفهوم الجديد. والمشروع قابل للتطوير واستيعابه للأفكار والاجتهادات النافعة والجديدة؛ فنحن في حاجةٍ لتلبية متطلبات الحياة المعاصرة بما يتفق مع إسلامنا وتعاليم ديننا".

ويضيف داتو عبد الله قائلا: "في ظل الإسلام الحضاري نسلم بتعدد وجهات النظر واختلاف الآخرين معنا، وهذا الاختلاف هو اختلاف تنوع وليس اختلاف أضداد؛ مما يعني أنه يثري الفكرة ويطورها، خاصة إذا روعي أدب الاختلاف والحوار"، والإسلام الحضاري "ليس مذهبًا جديدًا أو فرقةً مبتدعة، كما لا يجبر أي مسلم على الاقتناع بها، وإنما هو مشروع لإحياء الأمة".

وبالتالي فإن الإسلام الحضاري "هو اجتهاد بشري وليس وحيًا معصومًا؛ ولذلك هناك احتمال الاختلاف معه". ومن خلال مشروع الإسلام الحضاري تحاول ماليزيا أن تقدم نموذجًا للعالم يمكن أن يقتدى به.

ويقول داتو عبد الله: إن هذه الفكرة المبدعة من رئيس الوزراء تهدف إلى الاستقرار السياسى والسلام الاجتماعي واستدامة النمو في ماليزيا؛ لأنها من العناصر المهمة لاستدامة النمو الاقتصادي. ويولي المشروع اهتمامًا للتعليم الإسلامي واللغة العربية ومواد التربية الإسلامية والفقه الضروري، ويبدأ تطبيق منهج تعليمي لهذا الغرض من المراحل التعليم الأولى، خصوصاً للتلاميذ المسلمين حتى يعمقوا صلتهم بالإسلام ويتمثلوه في حياتهم. والحكومة حريصة على الأمانة والطهارة ومحاربة الرشوة وتعمل جاهدة بكل الوسائل في هذا المضمار.

هل التحديث من سمات الإسلام الحضاري؟

يجيب داتو عبد الله زين عن هذا السؤال فيقول: "الوسطية والتوازن هي أهم سمات مشروع الإسلام الحضاري، والتحديث لا يعني إهمال القديم، وهناك حرج في وصف المشروع بالحداثة؛ لأنها غالبًا ما تقترن بالمفاهيم الغربية، وكذلك الحال بالنسبة لوصف الإسلام التقدمي، ونفضل إطلاق وصف الوسطية على مشروع الإسلام الحضاري".

ما الفرق بين الإسلام الحضاري والإسلام السياسي؟

يقول داتو عبد الله زين إجابة عن هذا السؤال: "الإسلام الحضاري يبدأ من أسفل إلى أعلى، ومن القاعدة إلى القمة، ومن الجمهور والقرى إلى القادة بطريقة منظمة ومتدرجة

ورفيقة، وبالتركيز على الأولويات حيث العبرة بالمعاني والمقاصد لا الألفاظ والعبارات".

"الإسلام الحضاري ليس ديناً جديداً ولا مذهباً فقهياً مبتدعا، وإنما هو طريقة تقوم على مثل وقيم الإسلام الخالدة لتعزيز تقدم الحضارة الإسلامية، وهي طريقة لعرض الإسلام بواقعية وعملية وعودة الأمة إلى مصادر الإسلام الأصيلة ومبادئه القويمة. ويعطي مشروع الإسلام الحضاري مزيدًا من الاهتمام لزيادة جودة الحياة الإنسانية لكل الناس بغض النظر عن أعراقهم وثقافاتهم ومعتقداتهم".

ويعزز ذلك هدف الرؤية الإستراتيجية لماليزيا بحلول عام 2020 أن تكون دولة متقدمة، كاملة التطور ومنجزة لعملية التنمية المتوازنة والشاملة والمتوازنة بكامل أبعادها الاقتصادية والاجتماعية والروحية والمادية والثقافية والحضارية، وأن تحقق مراتب متقدمة في العدالة الاجتماعية والمثل المعنوية والاستقرار السياسي والمشاركة الشعبية وجودة الحياة ونزاهة الحكومة والوحدة الوطنية.

التطرّف و الغلـــوّ

الداعية السعودي

الشيخ الدكتور محسن العواجـــــي

بسم الله الرحمن الرحيم

التطرف والغلو

الحمد لله الذي كتب على نفسه الرحمة، والصلاة السلام على نبي الرحمة الذي بعثه الله رحمة للعالمين وبعد:

الاسلام هو الوسطية الربانية، والوسطية هي دين الله الذي ارتضاه لبني البشر (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس) وبهذا استحقت أمة الإسلام هذه الخيرية بشهادة الله (كنتم خير أمة أخرجت للناس) لتكون شاهدةً على من سواها، والغلو والتطرف مناقضان للوسطية وهما جنوح عن المنهج القويم وانحراف عن الصراط المستقيم، علما بأن التطرف الفكري ليس محصوراً في دينٍ معينٍ ولا فكرٍ محدد ففي كل أمة يوجد متطرفون وغلاة، ويقاس مدى فعالية دعاة الوسطية في كل مجتمع بقدرتهم على نشر فكر الوسط والاعتدال والتسامح عى حساب مساحة التطرف والغلو، ومن غير الانصاف التركيز على التطرف الاسلامي وحده، دون التطرق لتطرف الآخرين، وكأنه الوحيد الذي هو ذاتي له جذور ترجع الى النص الثابت من الاسلام.

...سيكون الحديث منصباً على التطرف الاسلامي كونه يعنينا مباشرة في هذه المرحلة الحساسة علما بأننا لانستطيع تجاهل هذا الكم الهائل من الاستفزازات المتطرفة التي توجه للمسلمين منذ حقبة الاستعمار وحتى هذه اللحظة التي تتجلى فيه أبشع ممارسات التطرف الصهيوني على ارضنا المحتلة في فلسطين السليبة، كجزءٍ

من جملة استفزازاتٍ على المستويين الدولي والأقليمي قد تكون من أهم أسباب نشوء التطرف الاسلامي المتفاقم في بعض المناطق ودافعا لإيصاله إلى حد العنف الدموي الذي ترفضه جميع الشرائع والأديان.
لكن هذا لايعني بحال ٍ تبرير العنف ولا التساهل في محاصرته واسئصاله، لآنه من الأمانة أن نعترف بأن التطرف الديني والغلو في فهم النصوص خطرٌ يهدّد مجتمعاتنا من الداخل ويطالنا ضررهما أكثر من غيرنا، لقد ظهرت تيارات دينية متشددة وجماعات أصولية تنتقي من نصوص الشرع ما يوافق هواها ثم تنطلق منفردة دون اعتبار لآراء الغالبية العظمى من علماء الأمة الراسخين في العلم، وأصبح آحاد المتطرفين يفسرون الدين وفق مفهومهم الخاص ويحملون الناس عليه ، طوعاً أو كرهاً ويعتبرون مخالفهم عدواً لهم قد يستحلون دمه، ومن الانصاف أيضا أن نقول بأن خطورة التطرف الديني في بلادنا ناجمة عن كون الاسلام مظلوماً من قبل المجتمع العالمي، فهو الحاضر قدراً في كل شأن من شئون الحياة، وبنفس الوقت المغيب قسراً عن الساحة، إما بالتضييق على رموزه أو مطاردة علمائه، نتيجة طبيعية ان يجد المتطرفون مناخا مناسبا لأفكارهم عندما مورس التضييق على الطرح الاسلامي المعتدل الذي يطالب بالحقوق بوسائل سلمية مشروعة، بينما نجد مجتمعات غيرإسلامية كانت أحكم في تعاملها فقللت من حدة التطرف عندما استوعبت النزعات الأصولية وأدخلتها ضمن اللعبة السياسية العامة رغم التحفظ عليها وعلى أفكارها،

فسمحت مثلا لأحزاب دينية بممارسة دورها في المنافسة الانتخابية كالحزب الديمقراطي المسيحي في ألمانيا والأحزاب الدينية المتشددة في (إسرائيل) بينما نجد حرمان الأحزاب من ذوي التوجهات الاسلامية من أي مشاركة في جميع بلاد المسلمين إلا القليل جدا، بل ألغيت انتخابات بأكملها وترتب على ذلك التضحية بمئات الآلاف من المواطنين لمجرد ان أن الإسلاميين كسبوها، وهذا بلا شك مما ينبت اليأس لدى المتدين و يدفع الكثير من المتحمسين منهم إلى التحول نحو التطرف ومن ثم العنف.

التطرف والغلو خطر ليس على بلاد المسلمين فحسب بل أصبح العالم بأسره يشتكي من تداعياته ويدفع ثمن تأجيل علاجه، و لعل من أهم خطوات علاجه معرفة الأسباب المؤدية إليه والتي في مقدمتها ممارسة الاستبداد والظلم والحرمان ضد الشعوب، كما أن التطرف عادة ما يولد تطرفاً مضاداً ، فالدولة التي تكفر معارضيها المتطرفين يجب ألا تستكثر منهم تكفيرهم لها من منطلق رد الفعل المساوي له، والعلاج الصحيح يتطلب مواجهة ً علمية واعية تأخذ بالحسبان وحي السماء وليس أهواء البشر و أنه لن يرضي البشر سوى كلام رب البشر، وأن الدعوة للوسطية لن تتأتى من مجرد رفع الشعار وحده دون مصداقيةٍ عمليةٍ تقنع المتخندقين في قلاع العنف والتطرف بالنزول الى ساحة فكر الوسط الفسيحة ليعيشوا ويتعايشوا مع العالم بسلام، ولهذا نجد النبي صلى الله عليه وسلم يحرص في كل لحظة يتسرب فيها فكر متطرف على معالجته قبل استفحاله، جاءه ثلاثة يريدون أن يزايدوا عليه

في عباداتهم، فسألوا عن كيفية عبادته ثم تقالوها فقررأحدهم أن يصوم ولا يفطر وقرر الآخر أن يقوم ولا ينام وقرر الثالث ألا يتزوج النساء: فلما علم بهم اتخذ قرارا فوريا بسحق هذه النزعة المغالية، وقذف بالوسطية غلوهم الباطل فإذا هو زاهق وقال لهم(أما وأني اصوم وأفطر واقوم وأنام وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني) ولما نصح عبد الله بن عمر بصيام يوم وإفطار يوم قال عبد الله: أطيق أكثر من ذلك ، فرد عليه (لاأفضل من ذلك) ولما كبر عبد الله بن عمر ندم أنه لم يأخذ بنصيحة الرسول الرحيم عندما اقترح عليه أن يخفف عن نفسه عبء الصيام الكثير، بل حتى عمر بن الخطاب نفسه كان بين المرة والأخرى يخضع لترويض النبي الوسطي له كلما ساورته نزعة القسوة على المخالف، إذ لم يأذن له ولا مرة واحدة بضرب عنق من كان يستأذنه مرارا بقتلهم، فتخرج عمر الفاروق من هذه المدرسة الوسطية النبوية ضارباً أروع الأمثلة بالحكم الراشدي العادل فيما بعد.

هكذا تكون الوسطية متجسدة في قوله وفعله وجميع سيرته صلى الله عليه وسلم، فهي قوة من غير عنف ولا تعدي، ورحمة من غير ضعف ولا هوان، وعدل واحترام، و تمسك بالثوابت واجتهاد مع المتغيرات، جهاد مشروع لمن يقاتلون المسلمين ضمن قواعد وضوابط معلومة، ورحمة وتسامح وحسن تعامل مع غير المسلمين، الكل له حق مكفول في شريعتنا، ليس في ديننا قتل الأبرياء ولا تدمير الممتلكات ولا استهداف الأحبار ولا القساوسة ولا قتل النساء والأطفال ولا المعاهد والأسير، تعامل النبي صلى

الله عليه وسلم في المدينة مع مجتمع متعدد الديانات والأعراق، فعامل كلاً بحسب مكانته مع ضمان حقه الآدمي الذي كرمه الله به عن غيره من المخلوقات، استعان بمشرك يدله على طريق الهجرة للمدينة، ومات ودرعه مرهونة ليهودي، ومات و اليهود في خيبر والنصارى في نجران واليمن يعيشون مع المسلمين وفق عهدٍ بيَّنه وصدق الله القائل (وماأرسلناك إلا رحمة للعالمين) و بقوا من بعده حيث كانوا في عهد أبي بكر وشطراً من حياة عمر رضي الله عنهما، وهما الخليفتان اللذان أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم بالاقتداء بهما من بعده، فأين هذا من فكر الغلاة المتطرفين اليوم الذين يفهمون النصوص خلاف فهم الصحابة لها؟ وجلبوا إلى مجتمعاتهم الدمار والقتل وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا..

إن وجود العنف الناجم عن التطرف الفكري في فهم نصوص الدين والمؤدي إلى استباحة الحرمات وتدمير الممتلكات باسم الدين، ليوجب على الوسطيين مزيدا من بذل الجهد لاحتوائهم بالطرق المشروعة التي لا يتولد عنها تطرفٌ مضاعفٌ ، ومن هنا تتضح أهمية عقد مثل هذا المؤتمر في هذه المرحلة فنحن بحاجةٍ الى الوسطية واقعاً عملياً في ثلاث مستويات رئيسية هي:

1- الوسطية في المعتقد: فالاسلام دين الوسط بين الجفاة والغلاة، هو الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من غير المغضوب عليهم ولا الضالين، دين لله كله لا كهنوت فيه ولا رهبانية، دين العدل والمساواة والاحترام المتبادل بين البشر، دين يجعل من أهل القبلة خاصة إخوة

في الله لهم حقوق المسلم على المسلم ، كما انه يفرق بين أهل الكتاب والمشركين في المعاملات، فلأهل الكتاب من يهودٍ ونصارى اعتبارٌ خاصٌ وصل إلى أن نص القرآن على أن الذين قالوا إنا نصارى هم من أقرب الناس مودةً للذين آمنوا، وبنفس الوقت لم يغفل الكرامة الآدمية لأي بني آدم بغض النظر عن معتقده وعرقه ولونه.

2- الوسطية في العبادة: وهذا يعني التجرد لله والابتعاد عن الغلو حتلى لا يتمادى الناس بالمزايدات والتنطع، والأولى الالتزام بقواعد التيسير التي أوصى بها الرسول عليه السلام بقوله (بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا) وقوله (الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه) واعتقاد أن الله غني عن طاعة المطيع وأنه لا تضره معصية العاصي، ولربَّ مسلمٍ على معصية يذرف دموع الندم عليها أحب إلى الله من عابد يرى نفسه وليا لله يمن على الله في إسلامه، ولذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل عن الإطالة في الإمامة وقال له مستنكرا (أفتان أنت يا معاذ) وأكد على أفضلية رخص السفر من قصر للصلاة وإفطارالصيام، وكان جوابه لكل من سأل عن مناسك الحج (إفعل ولا حرج) بينما قال (هلك المتنطعون: ثلاثا).

3-الوسطية في المعاملات: وبما اننا نعيش أزمة تعايش مع الآخرين وأن الدين المعاملة فإن أهم ما نحتاجه اليوم هو هذا النوع من الوسطية لكي يسود السلام بيننا، وتتحدد علاقتنا بالآخر على اسسٍ عادلة، سواء كان مخالفاً لمسألةٍ فرعيةٍ من داخل مجتمعنا الاسلامي أو من خلال

علاقتنا بغير المسلمين، وهذا النوع من الوسطية ضروريٌ جداً وتفعيله يتطلب منا فقهاً شاملاً لجميع النصوص بالجملة دون أخذ واحدٍ منها في معزلٍ عن غيره وذلك حتى نتمكن من حمل هذه الأمانه للغير وإعطاء صورةٍ مشرقةٍ عن ديننا العظيم الذي ارتضاه الله للعالمين الى قيام الساعة.

الاختلاف في فهم النصوص رحمة من الله لتنوع المجتمعات واختلاف طبائعها، وهو من أبجديات الوسطية المنشودة والله تعالى خلقنا مختلفين ومتفاوتين في أفهامنا وأفكارنا ولو شاء لجعلنا أمة واحدة ، وهو تعالى أعلم بحالنا أن شرع لنا من الدين ما وصّى به نوحاً ومن بعده (أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) فمن الوسطية ان نعتبر هذه الاختلافات تنوعاٍ لاتضاداً ولو شاء الله لأنزل النصوص محكّمةً لا تقبل سوى معنىً واحداً، ومن الغلوّ أن يحاول بعض أصحاب الرؤى الضيقة فرض فهمهم لها و إرادتهم البشرية على مخالفيهم، ليطبقوا في حق المخالف أقصى درجات الإقصاء والتهميش ولربما لجأوا إلى التصفية المحرمة خلاف حكمة الله التي ضمنت لكل إنسانٍ كرامته وقيمته الاجتماعية واحترام عقليته وفهمه للنص القابل لأكثر من معنى وتأويل، ولهذا جعل الشارع الحق ميزاناً للرجال ولم يجعلهم ميزاناً له، وجعل الحكمة أفضل وسيلة للدعوة وتبليغ الرسالة وسماها (ضالة المؤمن) واعتبرها مؤشر علم ونضج الأمة للتعامل مع غير المسلمين أيضاً (أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) وهاهو

القران الكريم يخبرنا بأن الله أرسل موسى وهارون لفرعون ليقولا له(قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى).
من حقنا كدعاة وسطية أن نتساءل: أين هذا الخطاب القراني الوسطي الراقي مع جميع الأطراف عما نمارسه فيما بيننا؟ هذا القران يحثنا على التعامل الراقي مع غير المسلمين ونحن نتمنى تعاملا معقولا بين المسلمين أنفسهم يستوعب الخلاف ولا يؤدي للقتل!! أليس ربنا واحد، وديننا واحد، ورسولنا واحد، وقبلتنا واحدة وهدفنا واحد ومصيرنا واحد؟ فمال هؤلاء المتطرفين والغلاة لا يكادون يفقهون سبيلا!! نحن نحمل رسالة العالم كله (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا) وهذا يعني ضرورة نبذ الخلافات و جمع الناس على الاسلام العام كمنطلقٍ رئيس، بعيداً عن كل مذهبيةٍ ضيقةٍ أو طائفيةٍ متوجسة ٍأو إقليميةٍ متقلبةٍ تشرذم الأمة وتوهن قواها، وهذا الهدف يتحقق بالاعتصام الصادق بحبل الله والالتزام بدينه الوسط وفق منهج نبي الوسط صلى الله عليه وسلم ومن اقتدى به وسار على نهجه الى يوم الدين.

من الوسطية ألا نخاف على دينٍ تكفل الله بحفظه بقدر ما نخاف على انفسنا إما من الغلوّ فيه أو الجفاء عنه، وكفي بالوسطية شرفا ً أن كانت منهج الانبياء وشعار الأسوياء جميعا قال تعالى (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) من الوسطية ايضا ً أن ننزل الناس منازلهم، وأن نؤمن بأنه لا قداسة لأحد بيننا وأن العصمة للأنبياء والمرسلين فقط، وألا تدفعنا محبتنا لعلمائنا المعاصرين مهما بلغ قدرهم وعلمهم أن نقبل منهم ما

يخالف نصوص ديننا الثابتة عندنا، فكل يؤخذ من كلامه ويرد، وللناس أن يحترموا علماءهم كيفما شاؤوا فهذا امر محمود، لكن عليهم أن يحترموا علماء آخرين لآخرين أيضا حالت بينهم وبينهم الجغرافيا أو الحدود السياسية، التمسك الحقيقي بالنص يعني أننا إذا سمعنا قال الله أنصتنا وقلنا سمعنا واطعنا وإذا سمعنا ما ثبت عن رسولنا قلنا سمعنا وأطعنا، ومن سواهما فلنا حق المناقشة والمناظرة والقبول والرفض لآرائهم وكما قال الإمام أبو حنيفة (هم رجال ونحن رجال) وهذا ما انتبه إليه مبكرا حبر هذه الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنه عندما لاحظ أخذ الناس أقوال من يرتاحون إليهم دون عرضها على كلام الله ورسوله فقال محذراً (يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول لكم قال رسول الله وتقولون قال أبو بكر وعمر) فإذا كان هذا غضبه والناس يسمعون ويقتدون بأبي بكر وعمر على جلالة قدرهما وسابقتهما في الاسلام، فكيف بمن يقتدون بمعاصرين مقصرين لايبلغون مدّ الصحابة ولا نصيفهم حتى لو انفقوا مثل أحدٍ ذهباً مهما بلغ علمهم وذاع صيتهم. الغلو في العلماء واعتبارهم المصدر الوحيد للحق والحقيقة وعدم تحمل أي رأيٍ يخالف رأيهم من معوقات الفكر الوسطي، لأنها قداسة ما أنزل الله بها من سلطان داخلة ضمن التحذير الرباني في قوله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) بينما نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم قبل الحق من الجميع حتى قبله من شيطان أبي هريرة ، عندما أخبره بفضل آية الكرسي، وجاء الهدهد إلى النبي سليمان عليه السلام قائلا

له (أحطت بما لم تحط به) فقبل منه الخبر، ولنا في أنبياء الله أسوةً حسنةً لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً.

حان وقت الوسطية المستنيرة

الرئيس برويز مشرف
رئيس جمهورية باكستان

- نشرت في جريدة الأهرام - بتاريخ الأربعاء 2 يوليو 2004 السنة 127 العدد 42912.

** إن العالم يمر منذ فجر التسعينيات بمرحلة من الاضطراب والعنف دون أية إشارة إلى اللين. إن معاناة الكثيرين, وخاصة أشقائي في الايمان المتطرفين والارهابيين - المسلمين ـ على أيدي القوات العسكرية, , قد أوحي الي بأن أشارك في إيجاد بعض النظام في هذا العالم الفوضوي. إن هذه النزعة هي التي قادتني الي تأييد وتقديم استراتيجية الوسطية المستنيرة.

إن العالم قد أصبح مكاناً خطراً للعيش فيه. فالقوى المدمرة من المتفجرات البلاستيكية, مع التكنولوجيا العالية المتقدمة, ووسائل التحكم عن بعد, ويزيد على ذلك تكاثر قاذفات القنابل الانتحارية, كل ذلك يشكل تركيبةً مميتةً ومهلكة تتعدى أية مقاومةٍ فعالة. والواقع الأليم أن كلاً من مرتكبي هذه الجريمة وأيضا معظم المتضررين والمعانين منها, كلاهما من المسلمين. كل هذا قد جعل غير المسلمين, رغم أنه غير صحيح، يؤمنون بأن الاسلام دين التشدد والقتال والارهاب. نحن يمكن أن نعترض بشدة على هذه المسميات ولكن الواقع أن هذه المناظرات لن تنجح في التغلب على هذه المعركة الهائلة ضد القوى المعادية لنا. ولمضاعفة اللامبالاة لدينا أكثر مما هي عليه, فنحن غالباً الأفقر ، الأقل تعليما، الأضعف قوة ، والأقل اتحادا في العالم.

أن الحقيقة الصارخة التي تواجه أي شخص لديه عاطفة تجاه هذا الميراث المشترك للانسانية ـ عالمنا - الأرض الأم ـ هي أنه ما هي الشرعية التي نريد تركها للبشرية؟ على الوجه الآخر, إن التحدي الذي يواجه المسلمين هو أن

نخرج من هذه الحفرة التي وجدنا أنفسنا فيها, من خلال الجهود والنشاطات الفردية الجادة والارتقاء الاجتماعي ـ الاقتصادي الجماعي. ويجب التحرك الفوري لفعل شيء لايقاف هذه المذبحة في العالم, وعلى المسلمين أن يصدوا هذا الانزلاق للأسفل, هذا اذا كنا نريد أن نحمي أنفسنا من أن نكون على الهامش.

أن فكرتي عن حل هذه العقدة هي استراتيجية الوسطية المستنيرة, والتي اعتقد أنها نجاح للكل, للمسلمين ولغير المسلمين, فهذه استراتيجية ذات شقين. شق يخص مسلمي العالم بأن يقوموا بالنأي عن القتال والتطرف, وأن يتبعوا طريق الارتقاء الاجتماعي ـ الاقتصادي والشق الآخر يخص الغرب، خصوصاً الولايات المتحدة ، وهو الاتجاه الموطد للعزم إلى حل كل النزاعات السياسية بالعدل, وأيضا المساعدة في الارتقاء الاجتماعي ـ الاقتصادي للعالم الاسلامي المجرد من ذلك.

وأود أن اشرح منطق استراتيجية الوسطية المستنيرة وايضا التوسع أكثر في شرح المنهج الذي يجب على العالم الاسلامي إتباعه للقيام بالشق الخاص بهم من الاستراتيجية, أولا نحن في حاجة أن نفهم أن السبب الأساسي للتطرف والقتال يكمن في عدم العدالة السياسية, في الرفض وفي الحرمان. فالظلم السياسي لأمة أو لشعب حينما يجتمع مع الفقر الشديد والجهل, يؤدي إلي التركيبة المتفجرة التي تؤدي إلى الشعور الحاد بالحرمان واليأس والضعف. إن شعباً يعاني كل هذه المجموعة من العلل المميتة هو بمثابة الغذاء السهل المتاح لانتشار القتال ولارتكاب أفعال

التطرف والارهاب. وسوف أكون غير متقن, اذ في غمار دفاعي عن أشقائي في الايمان. لم اقتف أثر نشأة تسمية المسلمين بالمتطرفين والارهابيين. فقبل قيام الحركة المضادة للسوفيات, بدأت حرب الأفغان, وكان النزاع الفلسطيني وحده هو سبب قلق واهتمام العالم الاسلامي, والذي أدي إلي الاتحاد العام للمسلمين أجمع لمساندة القضية الفلسطينية ضد إسرائيل, إن حرب الأفغان في الثمانينيات والذي ساندها ويسر لها الغرب كحرب مفتوحة ضد الاتحاد السوفيتي, قد شهدت بدء ونمو القتال الاسلامي الموجه, فالاسلام كدينٍ قد استخدم لتجهيز الحشود كمساندة إسلامية على مستوي العالم. وبالتالي كانت النتيجة ما حدث من بشاعة وتطهير عرقي ضد المسلمين في البوسنة, وقيام الشيشان, والصراع حول تحرير إقليم كشمير, وايضا الانتفاضة الفلسطينية القوية, كل ذلك قد تفجر في التسعينيات بعد انقسام وتفكك السوفيت. والذي جعل الأمور تسوء, أن القتال الذي تفجر في أفغانستان والذي كان في حاجة إلى وقفة بعد انتهاء الحرب الباردة, قد أتيحت له الفرصة كي يلتهب طوال حقبة التسعينيات, هذا الجرح المتقيح لأفغانستان مع وجود مجاهدين من جميع أطراف العالم الاسلامي خلال نفس الفترة التي حدثت بها ثورات في أمم إسلامية أخرى قد تحول إلي اتجاهاتٍ متعددةٍ للبحث عن مناطق نزاعٍ جديدةٍ حيث يعاني المسلمون.

وقد شهد ذلك ميلاد القاعدة. كل ذلك يحدث والانتفاضة الفلسطينية مازالت تجمع القوى وتوحد المسلمين الغاضبين من جميع أنحاء الأرض, ثم حدثت القنبلة المروعة في

الحادي عشر من سبتمبر, وما تلاه من ردّ فعلٍ غاضبٍ للولايات المتحدة ضد حركتي طالبان والقاعدة في أفغانستان, فإن كل ردود الأفعال للولايات المتحدة المترتبة على ذلك, والتي تشمل رد الفعل الداخلي ضد المسلمين والموقف تجاه فلسطين وعملية العراق أدى إلى الاستقطاب الكلي للحشود المسلمة ضد الولايات المتحدة. وسبب ضرورة استرجاع كل ذلك هو إثبات أنه ليس الاسلام كدين هو الذي يدعو أو يحث على القتال والتطرف, ولكن النزاعات السياسية هي التي أدت إلى الخصومة والعداء بين الحشود الاسلامية.

كل ذلك هو الآن مجرد تاريخ. ما حدث لا يمكن أن يمحى. ولكن هذا الوضع لايمكن أن يسمح له بأن يلتهب أو يسوء أكثر من ذلك. فلأجل الوئام العالمي يجب أن يوجد علاج. فصرخة اليوم هي للغرب لحل هذه النزاعات السياسية بعدالةٍ كجزءٍ مما يخصهم من الالتزام تجاه تحقيق استراتيجية الوسطية المستنيرة. والآن أود أن أتوجه إلي العالم الاسلامي, والذي يدمي له قلبي. ما نحتاجه اليوم هو وقفة مع الذات. من نحن وماذا نفعل كمسلمين بحق الكلمة وأين نحن ذاهبون والي أين يجب أن نتوجه وكيف يمكن الوصول إلي ذلك؟ إن الاجابة لكل هذه التساؤلات أراها بمثابة الشق الخاص بالمسلمين للقيام به تجاه تحقيق استراتيجية الوسطية المستنيرة. لقد كان لنا تاريخ مجيد. فقد امتد الإسلام على خريطة العالم كحامل للواء المجتمع الذي تسود فيه روح العدالة والشرعية والتسامح. لقد كان لنا ايمان بأن قوة الإنسان تكون عن طريق المعرفة

والاستنارة. وقد كنا مضرب الأمثال في التسامح مع أنفسنا ومع الشعوب ذات الأديان الأخرى. ولم تكن أبدا جيوش الإسلام تسير قدما لجعل الناس يغيّرون دينهم بقوة السيف, بغضّ النظر عما قد يدرك, ولكن لكي تحررهم من الظلام الذي كانوا فيه, من خلال ضرب الأمثلة الواضحة الجلية مما يتحلون به من فضائل. وكيف يمكن أن يكون هناك إبراز لمثل هذه الفضائل والقيم العميقة للدين الاسلامي أفضل من المثل الذي ضربه شخصيا نبينا الكريم(عليه الصلاة والسلام) والذي كان يتحلي بالعدالة والتعاطف والرحمة والتسامح مع الآخرين, كما كان يتحلي بالكرم وبالتواضع والبساطة مع روح التضحية والرغبة الملحة للارتقاء بالإنسانية إلى عالم أفضل.

أن العالم الاسلامي اليوم بعيد عن كل هذه القيم. لقد أصبحنا في موقف متأخر جدا من النمو الاجتماعي, الأخلاقي والاقتصادي. وللأسف, فإنه خلال فترة تدهورنا, بقينا في قوقعتنا ورفضنا أن نتعلم أو نكتسب الخبرة من الآخرين. ولذا فقد وصلنا إلى ما آل إليه الحال من اليأس والكآبة. يجب أن نواجه الحقائق الأليمة. هل الطريق أمامنا طريق المواجهة والقتال؟ هل هذا الطريق سوف يقودنا إلي أمجادنا السابقة وأيضا يظهر نور التقدم والتنمية للعالم؟.

أشقائي المسلمين إن زمن النهضة قد حان. إن الطريق للتقدم للأمام هو التوجه إلي الاستنارة والتركيز على تنمية المصادر البشرية من خلال القضاء على الفقر, ومن خلال التعليم, الصحة والعدالة الاجتماعية. إذا كانت تلك وجهتنا, فلا يمكن الوصول إليها عن طريق التحدي والمواجهة. اذ

يجب علينا أن نسلك طريق الوسطية, كي نمحو الاعتقاد العام أن الإسلام هو دين القتال وأنه ضد التجديد والديموقراطية الدنيوية. كل ذلك يجب أن يحدث مع إدراكنا أنه في هذا العالم الذي نعيش فيه, فان مبدأ العدالة والإنصاف ليس دائما في متناول أيدينا. هذا هو الشق الخاص بنا كجهة استراتيجية الوسطية المستنيرة والذي يجب علينا القيام به. وإذا كان هذا هو المنهج الذي يجب أن يتبعه العالم الاسلامي, فما هي المعايير الجاهزة الواجب القيام بتنفيذها؟.

إن منظمة المؤتمر الإسلامي هي كياننا التجمعي. نحن بحاجة إلي بث الحياة في هذا الكيان الذي هو الآن في حالة تقرب من العجز. يجب إعادة تشكيله لمواجهة تحديات القرن الـ21, ولتحقيق آمال العالم الاسلامي ولأخذنا تجاه تحقيق عتقنا وحريتنا. إن اللجنة المكونة من أشخاص بارزين والتي شكلت لتقديم التزكيات والتوصيات الخاصة بإعادة تشكيل منظمةالمؤتمر الاسلامي , هي بلا شك خطوة مهمة وكبيرة نحو الاتجاه الصحيح. يجب علينا أن نظهر العزيمة وأن نرتقي بأنفسنا عن المصالح الشخصية إلي المنفعة المشتركة والخير المشترك بنفس الروح والقيم التي علمنا الإسلام أن نكون عليها. إن العالم أجمع وجميع القوى فيه يجب أن يدركوا أن المواجهة واستعمال القوة لم تعد الخيار المتاح لتحقيق السلام التام. يجب أن تتحقق العدالة ويجب العمل على التأكد من تحقيقها. فيجب ألا تقول الأجيال القادمة إننا, قادة وزعماء اليوم, قد أخذنا بالإنسانية نحو الانهيار.

الوَسَطِيَّةُ والبُعْدُ الحَضارِيُّ

الدكتور أحمد الراوي
رئيس اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا

في هـذه الورقــة:

- مدخـل:

في الوسطية وبُعدها الحضاري

- المبحث الأول:

في علاقة الحضارة والثقافة الإسلامية بالحضارات والثقافات الأخرى

- المبحث الثاني:

الابتعاد عن هيمنة حضارةٍ وثقافةٍ واحدةٍ على بقية الحضارات والثقافات

- المبحث الثالث:

ظروف ومتغيرات ومستجدات تحث على بلورة المشروع الحضاري الإسلامي

- المبحث الرابع:

من معالم المشروع الحضاري الإسلامي المنشود

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَكَذلكَ جَعَلْناكُم أمّةً وَسَطاً لِتَكونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسولُ عَلَيكُم شهيداً)البقرة 143

مدخل:

في الوسطية وبُعدها الحضاري

إنّ الوسَطيّةَ كمفهومٍ نحمِلُه؛ نراهُ بديلاً عن منزلقِ الإفراط وهاويةِ التفريط. إنها دلالةٌ على طابع التوازن والتكامل والانسجام، الذي نستقيهِ من فهمِ الإسلام واستلهامِ توجيهاتِه.

وباعتمادِ الوسَطيّةِ في الرؤيةِ والفكرِ والمعالجة؛ ينبغي أن يتداعى أهلُ العلم والفكر والرأي للرد على محاولات تفريغ الإسلام من محتواه، وتعطيل رسالته أو تشويهها، كما ينبغي لهم بالمقابل التصدِّي لنزعات التشدِّد والتطرّف والغلوّ، وهي التي ساهمت هي الأخرى، وعلى نحوٍ وافرٍ، في تشويه فهمِ الإسلام وصورَتِه، وكان لها دورُها الملموسُ في التعمية على صورة الإسلام النقيّة.

وإنّنا انطلاقاً من الفهم الوسطيِّ؛ نرى في تشجيع حوار الحضارات والثقافات؛ الخيار الأفضل الذي يجب أن تتجه إليه جهود المسلمين وغيرهم، بدل خيار الصدام الذي لا يمكن أن يكون في مصلحة أحد.

ومن هنا؛ جاءت هذه الورقةُ لتتناول جوانبَ متصلةً بالبُعدِ الحضاريِّ للوسطية. فهي تتطرقُ إلى علاقةِ الحضارةِ والثقافةِ الإسلاميّة بالحضارات والثقافات

الأخرى. فالحضاراتُ تجمعها علاقةٌ تفاعليةٌ، تقوم على التبادل والتكامل، وينطبق هذا على الحضارة الإسلامية كما ينطبق على غيرها، ولكنّ الحضارة الإسلامية بصفةٍ خاصة تقوم على إدراك صفةِ التنوّعِ البشريِّ، وتتعامل بإيجابية وانفتاح مع ما يستتبِعُهُ من تنوّعٍ ثقافيٍّ وحضاريٍّ، فهي لا تعترفُ بذلك وحسب؛ بل وتعدّه معه مكسباً جماعيّاً.

كما تحذِّر الورقة من هيمنة حضارةٍ وثقافةٍ واحدةٍ على بقية الحضارات والثقافات، فلا ريب أنّ أحد الاشتراطات التي ينبغي تحقيقها في واقع التفاعل المتبادل بين الحضارات؛ يتمثل في السعي إلى تحقيق حالة التكافؤ بين الأطراف الحضارية الفاعلة، ويُقصد بذلك أن تكونَ العلاقةُ التفاعليةُ بين الحضاراتِ والثقافاتِ قائمةً على مبدأ الندِّيّة، وهي حالةٌ لا يتمُّ معها الشعورُ باستعلاءِ طرفٍ حضاريٍّ على الآخر، أو بهيمنةِ حضارةٍ على الحضاراتِ الأخرى.

وتبحث الورقةُ كذلك ظروفاً ومتغيراتٍ ومستجداتٍ تحثّ بدورها على بلورة المشروع الحضاري الإسلامي.

فإذا كان المسلمون قد عاشوا قروناً من الضمور الحضاري الذي لا ينبغي له أن يستمرّ أو يتواصل، فإنه يتوجّب استئناف النهضةِ الحضاريةِ الإسلاميةِ من جديد، وهو ما تحثّ عليه أيضاً جملةٌ من الظروفِ والمتغيراتِ والمستجدات، والتي تؤكد في مجموعها أهمية بِلْوَرة المشروع الحضاري الإسلامي المنشود، والذي ينبغي في الأصل أن يأتي اتساقاً مع رسالة الإسلام السامية وتوجيهاته الحضارية.

ومن ثم؛ تقف بنا الورقةُ عند هذا المشروع الحضاريِّ الإسلاميِّ المنشودِ للمرحلة المقبلة، ساعيةً إلى أن تُضيءَ بعضَ معالِمِه وأن تُركِّزَ على عددٍ من مفاصِلِه.

المبحث الأول:

في علاقة الحضارة والثقافة الإسلامية بالحضارات والثقافات الأخرى:

تجمعُ الحضاراتِ علاقةٌ تفاعليةٌ، تقوم على التبادل والتكامل، وبهذا فإنّ الحوار بين الحضارات ليس ظاهرةً جديدة، بل هو لازمٌ للحضارة لا انفصامَ لها عنه، خصوصاً وأنّ الحضارة الواحدة تتنفس من فضاء الحضارات الأخرى.

ينطبقُ هذا على الحضارة الإسلامية انطباقَه على غيرِها، ولكنّ الحضارةَ الإسلاميّة بصفةٍ خاصّةٍ تقومُ على إدراك صفة التنوّع البشري وتتعامل بإيجابية وانفتاح مع ما يستتبعُهُ من تنوعٍ ثقافيٍ وحضاري، فهي لا تعترف بذلك وحسب؛ بل وتعدّه معه مكسباً جماعياً (وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) الحجرات 13، وما يصدُقُ على الفردِ يصدُقُ على المجموعِ البشريِّ، فإذا كانت "الحكمة ضالة المؤمن"؛ فإنّ عموم المسلمين، وهم الرافدُ البشريُّ الأساس للحضارة الإسلامية؛ يجدر بهم أن يدركوا أهمية التواصلِ من الحضارات الأخرى، والإفادةِ منها، وهو ما صدّقه التاريخُ في التجربةِ الحضارية الإسلامية السالفة.

وإذا كان من السهل تتبّع الحدود السياسية والجغرافية بين الدول والشعوب؛ فإنّ من العسير وضعَ حدودٍ جامدةٍ

للدائرة الحضارية الواحدة. فالمسلم الأوروبيُّ اليومَ مثلاً ينتمي إلى الدائرة الحضارية الإسلامية، ولكنّه في الوقت ذاته جزءٌ من الفضاء الغربي. ويحفل الواقع البشري على مرِّ التاريخ بأمثلةٍ شبيهة، إلى الدرجة التي تجعلنا نستنتج أنّ الخارطة الحضارية والثقافية مفعمةٌ بالتداخلات والتقاطعات، التي هي بحد ذاتها من قنواتِ الحوار والتفاعل والتعارف بين الدوائر الحضارية، فالتنوّع سنّةٌ كونية، كما أنه مقدمةٌ للتعارف، وفق ما يستقي المرء من المعين القرآني الذي لا ينضب.

ولعلّ هذا ما يقودنا، تلقائياً، إلى تسليط الأضواء على حقيقةٍ ماثلةٍ أمامنا؛ وهي أنّ الحضارة الإسلامية قامت بالفعل على أرضية التواصل الحضاري، وتميّزت حقاً بهذه الخصوصية في مسيرتها. وقد كان ذلك من بين العوامل الحاسمة التي أتاحت لها فرص الاستمرار لقرونٍ طويلةٍ في العطاء المتجدِّد، الذي شكّل في محصلته الحافلة حلقةً هامةً في التاريخ الإنساني.

ورغم أنّ التاريخ البشري حافلٌ بالحروبِ الطاحنةِ بين الأمم؛ فإنّ التبادل بين الحضارات ظل قائماً على الدوام، فالحضارات تميلُ إلى التكامل في ما بينها، رغم أنّ الذين يحسبون أنهم يمسكون بزمامها قد يجنحون أحياناً نحو الصراع والتصادم لأسبابٍ متفرقةٍ أو لتناقضٍ في المصالح.

ولا شك في أنّ التلاقح بين المدنيات والثقافات والحضارات هو ظاهرة ثرية وحافلة منذ فجر التاريخ الإنساني، رغم أنّ أتباع هذه المدنيات والثقافات

والحضارات لا يميلون للاعتراف بحجم ما عاد عليهم من مكاسب متواصلةٍ من خلال هذه الحالة التكاملية الباهرة، فغالباً ما يكتفون بإحصاءِ بصماتِهم التي طبعت جوانب من البيئات المدنية والثقافية والحضارية للآخرين.

وعليه؛ فلا ينبغي لتشجيع الحوار بين الحضارات أن يكون مسعىً آنياً، أو توجّهاً مؤقتاً، أو حتى مجرد ردّ فعلٍ على أطروحات الصدام بين الحضارات، أو استجابةً عكسيةً طارئةً لتطوراتٍ عالميةٍ مثيرةٍ للقلق، فالحوار بين الحضارات هو ترجمةٌ لمفاهيم أصيلة، أبرزَها الإسلام، وأسّس لها في وعي المسلمين، فالحوارُ قيمة إسلامية لا مراء فيها، كما أنّ الحوارَ خاصيةٌ إنسانية، تتعزّزُ من خلالها إنسانيةُ البشر.

ولا جدال في أنّ التطورات الداهمة في السنوات الأخيرة قد وضعت مسألة العلاقة بين الحضارات على المحك، ولعلّ ما يزيد القلق في هذا الملف، أنّ أصواتاً محسوبةً على الحياة الأكاديمية تحاول أن تُكسِب أطروحات القطيعة والخصام طابعاً أكاديمياً واهياً، كما تفعل ما يعزِّز ذلك أحياناً، وبكل أسف، فئاتٌ محسوبةٌ على المؤسسات ذات الصفة الدينية.

ولكن لم يغب عن انتباهنا أيضاً أنّ التطورات الملتهبة على المسرح الدولي؛ أيقظت الكثير من الجهود الرامية لتطويق الموقف، وتعزيز التفاهم بين الأمم، والقفز على دعوات الصراع ومحاذير الصدام.

ولا بد لنا في هذا المقام أن ندرك الدور الهام الذي اضطلع به مسلمو أوروبا، ومسلمو الغرب إجمالاً، في تشجيع الحوار بين الحضارات في هذه المرحلة الحساسة، وتفنيد حجج المنظرين لحتمية الصراع بينها، في مواقع متقدمةٍ ، فعلاوةً على الجهود الحثيثة التي بُذِلت في العالم الإسلامي خلال ذلك؛ كان أن التقت جهود مسلمي الغرب ومؤسساتهم مع أصوات الحكمة والتعقل في الفضاء الغربي، لتطوِّق الحريق الذي بدا وكأنه قابلٌ لأن يأتي على حالة التعايش والوفاق والسلم الاجتماعي في لحظة تاريخية عصيبة.

إننا في اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا نرى أنّ مساعي الحوار والتلاقي والتفاهم ينبغي لها ألاّ تكون ردّ فعل آنياً، تستوجبه التطورات الداهمة. إننا ندعو، وبقوة، لأن نترجم خطاب الوفاق إلى حالةٍ متقدمةٍ ومُستدامةٍ من التعاون المثمرِ على الخيرات.

وما يجدرُ بنا أن نحذِّر منه في هذا المقام؛ خطورة الانسياق وراء مرامي الذين يحمِّلون الحضارات والثقافات، وحتى الأديان، ما لا يمكن لها أن تحتمله. فإنّ الصراع إن وُجد، والصدام إن تحقّق، ليس دليلاً على انبثاق ذلك عن إرادات ثقافية أو حضارية أو دينية، وذلك حتى مع الملاحظات التي يمكن أن نوردها على بعض المضامين الثقافية والمفاهيم المتوارثة.

فمن القسط الإقرار بأنّ الدائرة الحضارية الواحدة تنطوي هي الأخرى على قدرٍ غزيرٍ من التنوّع والتعددية،

التي هي سمة الواقع البشري أينما كان. ولذا فإنّ محاولة تنميط الكيانات الحضارية ضمن قوالب أحادية جامدة، وتجاهل ما تنطوي عليه من تفاعلاتٍ داخليةٍ وما تشتمل عليه من التدافع الضمني؛ هو نوعٌ من التعسّف الذي يقود حتماً إلى مغالطاتٍ في التصوّر، وتجاوزاتٍ في ما يتفرّعُ عنه من أحكام.

أجل؛ يمكن للعالم أن يشهدَ صوراً من المظالم وأشكالاً من العدوان وصراعات المصالح، ويمكن له أن يعرف أنماطاً من التعصب والتطرف والإرهاب؛ ولكنّ إلصاق هذا كلّه تعسفاً بدين أو حضارة أو ثقافة إنما يحتاج إلى أكثر من وقفة.

المبحث الثاني:

الابتعاد عن هيمنة حضارةٍ وثقافةٍ واحدةٍ على بقية الحضارات والثقافات

لا ريب أنّ العلاقة التفاعلية الإيجابية والمثمرة بين الحضارات تستدعي كل تشجيعٍ ودعم، فالحثّ على الحوار بين الدوائر الحضارية والثقافية مطلب لا غنى عنه في عالمنا اليوم، ربما أكثر من أيٍّ وقت مضى، ولكنّ ذلك يقتضي دراسة السبل الكفيلة بإنضاج هذه العلاقة التفاعلية والرقيّ بها، خصوصاً مع وجود عراقيل لا مناصّ من الاعتراف بها وعقباتٍ ملموسة في سياق التفاعل الحضاري هذا.

إنّ أحد الاشتراطات التي ينبغي تحقيقها في واقع التفاعل المتبادل بين الحضارات يتمثل في السعي إلى تحقيق حالة التكافؤ بين الأطراف الحضارية الفاعلة.

ولكن ما الذي نقصده بهذا التكافؤ؟

ما نقصده هنا هو أن تكونَ العلاقةُ التفاعليةُ بين الحضاراتِ والثقافاتِ قائمةً على مبدأ الندِّيّة، وهي حالةٌ لا يتمُّ معها الشعورُ باستعلاء طرفٍ حضاري على الآخر، أو بهيمنةِ حضارةٍ على الحضاراتِ الأخرى.

لا يُقصد بالتكافؤ بين الأطراف الحضارية الفاعلة؛ أن تكون هذه الأطراف جميعاً على المستوى ذاته من "الإنجاز" كمّاً وكيفاً و"الحضور" حجماً ومستوى، اللذيْن يمكن قياسهما على أرض الواقع، ذلك أنّ سنن الله في الأمم والمجتمعات وحركة التاريخ تقوم على التبادلية في الريادة وعلى التفاوت في النجاحات من أمة إلى أخرى ومن زمن إلى آخر، فتعرف الأمم مراحل النهوض تارةً ومراحل ضمورٍ تارةً أخرى.

وإنما يُقصدُ بالتكافؤ بين الأطراف الحضارية الفاعلة:أن يسودَ الاعتقادُ بأنّ كافة هذه الأطراف شريكةٌ في الميراث الإنساني العام، وبوسعها أن تساهم بجدارة في صنع الحاضر والمستقبل، وأن يتمّ إدراكُ هذه الحقيقة والتعامل بمقتضاها دون إلغاءٍ أو إقصاءٍ أو تهميش.

ولا ينبغي أن يتبادرَ إلى الأذهانِ أنّ إدراكَ التكافؤ إياه هو مطلبٌ موجّهٌ إلى أطرافٍ حضاريةٍ دون أخرى، بل هي قناعةٌ ينبغي أن تتأصّل لدى جميع الأطراف بلا استثناء،

وهي رسالةٌ موجّهة إلى "الذات" بقدر لا يقل عن توجهها إلى "الآخر". إذ ينبغي أن يُدركَ الواقفون في مواقع الريادة العالمية، أنّهم ليسوا وحدهم في ساحة الفعل الحضاري، لا في الماضي ولا في الحاضر فضلاً عن المستقبل، وأنّ بوسع الفاعلين الحضاريين الآخرين، بارزين كانوا أم كامنين، أن يبرهنوا بشكل أو بآخر على فاعليتهم التي قد يُحسب أنها خاملةٌ أو خامدةٌ، أو حتى يُظنُّ أنها قاصرةٌ أو منعدمةٌ بالكامل. كما يُدركُ بموجب ذلك من يرَوْن أنفسَهم في منأى عن مواقع الريادة تلك؛ أنّهم، وبحقّ، شركاءٌ في السياق الحضاري الإنساني العام، وأنّ لديهم مخزوناً بالوسع البرهنة على جدواه في الفعل الحضاري في الحاضر وفي المستقبل.

إنّ التواصلَ والحوارَ، والإقناعَ والمحاججة؛ إنما ينبغي أن تقوم في جملتها على مبدأ التكافؤ، بل وعلى أرضية من احترام الآخر المقابل وعدم التصغير من شأنه، وما أروع ما نستلهمه من المعين القرآني في مجال أدب التواصل مع المخالفين، كما نجد مثلاً في قوله تعالى: (قُل من يرزُقُكم مِنَ السماواتِ والأرضِ قُلِ الله وإنّا أو إياكُم لعلى هُدىً أو في ضَلالٍ مُبينٍ، قل لا تُسألون عمّا أجْرَمْنا ولا نُسألُ عمَّا تعمَلون)، سبأ 24-25.

وهكذا؛ فالرسالةُ إلى "الذات" تتمثل هنا تارةً في وضعِها في سياقِها الإنساني العام بما يقطع الطريق على نزوعها المُتوقّع إلى الاستعلاء، وإلغاء الآخر أو طمسه من الوعي الذاتي، وتتمثل تارةً أخرى في إدراك المقدرات

الذاتية وإمكاناتها القابلة للتفعيل، بما يقطعُ الطريقَ على التهميش الاختياري للذات أو الشعور بالدونية، وبما يحرِّك أيضاً كوامنَ الفعلِ الحضاري المتألّق.

ومن شأنِ التكافؤِ بين الأطرافِ الحضارية الفاعلةِ؛ أن يعزِّز إدراكَ واقعِ التنوّع الحضاري والثقافي في عالمنا، والتعاملَ الإيجابي مع حالة التنوّعِ هذه باعتبارها إثراءً للتجربة الإنسانية المشتركة.

ومن المؤسف أنّ مفهومَ التنوّع الثقافي قد بقي مُتَجاهَلاً، ولم يَحُز على إرهاصات الاهتمام الفعلي إلاّ في الأعوام القليلة الماضية.

فقد ساد طويلاً الانطباعُ بقصورِ الدوائرِ الحضارية غير الغربية عن الفعل والإسهام، حتى ذهبت بعض الأصوات إلى التنظير للجمود الحضاري، وتصويرِ عجلةِ الفعل الحضاري الإنساني وكأنها قد توقفت عن الدوران، بزعم أنها بلغت محطتها الأخيرة أو "نهاية التاريخ"، بحسب تعبير فرانسيس فوكوياما الذي تحدث أيضاً عن "الإنسان الأخير". إنّ هذا الفهمَ المؤسفَ لا ينطوي على نزعةِ الاستعلاءِ الحضاريِّ المقيتةِ وحسب؛ وإنما يقومُ أيضاً على مصادرة المستقبل لحساب الحاضر، بقدر ما يعكس عدم الثقة في قدرات الأجيالِ المقبلةِ على تطوير خياراتها الحضارية.

ومن هنا؛ فإننا نباركُ مساعي المنادين باحترام التنوّع الحضاري والثقافي وحمايته وتعزيزه، ومنهم روّادٌ كثيرون في الغربِ اليومَ، ومن قبيل ذلك الجهود التي شهدتها

منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلم "يونيسكو" مثلاً [1]، ونشدّ في الوقت ذاته على أيدي المحذِّرين من خطورة الأحادية الثقافية التي ترمي إلى صبغ العالم، بحضاراته وأممه وشعوبه؛ بلونٍ واحد في حالة تعميميةٍ فاضحةٍ لا يمكن تصوّر نجاحها.

ومقابل ذلك؛ ينبغي أن ندرك أنّ أيسر السبل لتعزيز التنوّع الثقافي يتمثل في تحريكِ كوامنِ الفعلِ الحضاريِّ لدى شتى الأطراف، وأرى بصفةٍ خاصّةٍ أنّ الدائرةَ الحضارية الإسلامية عليها أن تقدِّم مشروعَها الحضاريَّ المتجدِّدَ للإنسانيةِ اليوم.

ولا أحسبُني مبالِغاً إذا ما ذهبتُ إلى الاستنتاج بأنّ الدائرةَ الحضارية الإسلامية بوسعها اليوم أن تستفيدَ من جملةِ الظروف والمتغيرات والمستجدات؛ في بلْوَرَةِ المشروعِ الحضاريِّ إياه وتقديمِه لذاتها وللعالم.

فما هي هذه الظروف والمتغيرات والمستجدات؟

وما هي معالم المشروع الحضاري الإسلامي الذي نقصد؟

هذا ما سنتناوله تالياً بشيء من العرض والتفصيل.

[1] تقوم اليونسكو بمساع جديرة بالاهتمام في هذا المجال، ومن بين ما تم تحقيقه بهذا الشأن صدور الإعلان العالمي بشأن التنوع الثقافي، الذي اعتمده المؤتمر العام لليونسكو بالإجماع في 2 تشرين الثاني / نوفمبر 2002.

المبحث الثالث:

ظروفٌ ومتغيراتٌ ومستجداتٌ تحثّ على بلورة المشروع الحضاري الإسلامي:

ينبغي في الأصل بلورة مشروعٍ حضاريٍ إسلاميٍ متجدِّد، اتساقاً مع رسالة الإسلام السامية وتوجيهاته الحضارية، وتعبيراً عن الوسطيّة وسيراً على نهجها.

ومن المؤسف أنّ المسلمين قد عاشوا قروناً من الضمور الحضاري الذي لا ينبغي له أن يستمرّ أو يتواصل، بل يتوجب استئناف النهضة الحضارية الإسلامية من جديد، وهو ما تحثّ عليه أيضاً جملةٌ من الظروف والمتغيرات والمستجدات التي نراها في مجموعها تؤكد أهمية بِلْوَرة المشروع الحضاري الإسلامي المنشود.

أولاً- إرهاصات الفراغ الفكري والفلسفي:

يدخل العالم اليوم في حالة تبدو أحياناً وكأنها محكومةٌ بالفراغ الفكريِّ والفلسفي، فإلى ما قبل عقديْن من الزمن فقط، كان التنازع والتجاذب على أشده بين قُطبيْن أيديولوجييْن أو فكرييْن، هما القطبُ الرأسمالي ذو النزعة الليبرالية من جانب، والقطب الشيوعي الاشتراكي من جانب آخر، ومن المعروف ما طرأ على الشيوعية من انحسارٍ فكري وانطفاءٍ كبير في الجذوة بشكل متزامن مع تفتّتِ النظمِ الحاكمة بهذا المذهب، التي أخفقت تباعاً، وانْهارَ مشروعُها. منذ ذلك الحين تسيّدت الرأسماليةُ الليبراليةُ الموقفَ العالميّ وباتت وفق قاعدة الفراغ والإحلال، مطروحةً على أنها الخيارُ الأوحدُ بلا منازع،

ومن هنا يتضح أنّ مجرد تسيّد مذهبٍ واحدٍ للمشهد الإنساني العام، ورغم ما يحمل من قِيَمٍ حضاريةٍ ساهمت في بروزه كالديمقراطية وحقوق الإنسان وغير ذلك؛ فإنّ هذا الانفراد لا ينطوي على نزعةٍ أُحادية ذات تداعياتٍ مقلقةٍ وحسب؛ وإنما يكشفُ النقاب عن حجم الفراغ الهائل الذي شغله هذا المذهب بلا مزاحمةٍ تُذكر، رغم التحفظات المثارة بشأنه في عديد من الدوائر الحضارية، بما فيها الدائرةُ الحضاريةُ الغربية.

ولا يستطيع المرء أن يتجاهل ما شجّعت عليه هذه الانفرادية التي تحقّقت للمذهب الرأسمالي من تطرّف في الرؤى الفكرية والمعالجات النظرية [2] ومن تغوّل في الممارسة العملية والتجارب التطبيقية [3].

ومما يفاقمُ الإحساسَ بالفراغِ الفكري؛ تلك الأصواتُ المرتفعة التي تتحدث عن "موت الأيديولوجيات" أو ضمورها على الأقل، وسط حديثٍ عن احتكارِ المشهدِ لصالح ما يمكن تسميتُها بـ "أيديولوجية السوق".

ثانياً- الفراغ الفكري والفلسفي بالنظر إلى المراجعات في نطاق المنظومة القيمية الغربية الحديثة:

---

[2] يُمكن أن تُفهم أعمال صموئيل هنتنغتون وفرانسيس فوكوياما مثلاً في هذا السياق أيضاً.

[3] لعلّ من بينها تعاظم المخاوف من العولمة الاقتصادية وحجم الانتقادات الموجهة إلى الشركات متعددة الجنسية، كما يشار في هذا الصدد إلى الاتهامات المتزايدة إلى "الليبرالية الجديدة".

إذا اخترنا النظرَ إلى المنظومة القِيَميّة الغربية الحديثة، باعتبارها الوعاء الفكريّ والفلسفيَ الأعمّ؛ فإننا سنلاحظ مؤشراتٍ متزايدةٍ على تنامي الشعور بحالةٍ مقبلةٍ من الفراغ الفكري والفلسفي. فهذه المنظومة التي قدّمت كثيراً من رؤاها وتصوّراتها على أنها أشبه بمُسلّماتٍ بدت وكأنها غير قابلةٍ للنقاش؛ ها هي تتفكّك جزئياً في بعضِ معاقلها، وما لم يكن موضعاً للتساؤل لم يَعُد كذلك.

ومن هنا يطرأ الإحساس بأنّ المنظومة القِيَميّة الغربية الحديثة تتفكّك لحساب محاولاتٍ تفسيريةٍ جديدةٍ أو بفعل مراجعات "ما بعد الحداثة" ومداولاتها، ولكنّ هذه الأخيرة ليست منظومةً فكريةً جديدةً بقدر ما هي اتجاهٌ نقديٌ يمكن القول إنه يتولى نقض مسلّمات "الحداثة" وتقويض أسسها النظرية المتكرِّسة، أو كما يسميها بعضهم "استراتيجية تقويضيّة".

ولن ننشغل في هذا المقام بمناقشة مسألتيْ "الحداثة" و"ما بعد الحداثة"؛ بل ما يعنينا في هذا السياق هو ما يمكن استنتاجُه من خلال ذلك؛ من أنّ المشهدَ الفكريّ والفلسفيّ الإنسانيّ مقبلٌ على حالةٍ من الفراغ، أو أنه على الأقل يجتاز منعطفاً كبيراً.

ومهما يكن الأمر؛ فما يمكن الاتفاقُ عليه في هذا المقامِ هو أنّ تداعياتِ المراجعاتِ الفلسفية الراهنة في الفضاء الغربي تستدعي إعمالَ النظر، وخاصة من جانب المعنيِّين ببلورة مشروعٍ حضاريٍّ إسلاميٍّ قادرٍ على طرح خياراتٍ إنسانية أصيلة، ولا أقول بديلة، وفق نهج تكامليّ يتعامل

بشكل بنّاء مع الجوانب الإيجابية مما هو قائم اليوم فيعزّزها، ويتولى في الوقت ذاته طرح الحلول للجوانب السلبية الملموسة.

ثالثاً – استحقاقات القناعة بالإسلام:

علاوة على ما سبق؛ فإنّ أحد تجلّيات الفراغ الفكريِّ والفلسفيّ تتمثلُ في واقع المسلمين، الذين يناهز عددهم المليار وثلث المليار نسمة، أي قرابة خُمس البشرية، والذين يتوزّعون على شتى قارّاتِ العالم، وبخاصةٍ في المناطقِ المتوسطة من كوكبنا. فما نَلمسُه جميعاً هو أنّ الإسلامَ هو الخيارُ المُفضّل لدى معظم المسلمين، بحمدِ الله وفضله، وقد تعزّزت القناعة بالإسلام على أنه النهجُ الأمثل وباعتباره يقدِّم الحلول أيضاً للأزمات والمشكلات المتفاقمة في الواقع المعاصر.

يمثّل ذلك أرضيةً هامة، لكنّ البناء الفكري على هذه الأرضية يبدو لي أنه ما زال قاصراً بعض الشيء، أي أننا إزاءَ حالةٍ من الفراغ، لا بد من ملئها بالطريقة المُثلى، إذ لا يُقبل الاكتفاءُ بالعبارات العمومية دون الاكتراثِ بالتفاصيل، كما لا يصحّ الركونُ إلى معالجاتٍ فكريةٍ سطحيةٍ دون التناولِ المُعمّق ودون النفاذ إلى صميم القضايا المطروحة، ولا يجوز الاستئناس قبل ذلك وبعده بالشعارِ الذي يشير إلى أنّ "الإسلامَ هو الحلّ" دون البرنامج الذي يوضِّحُ كيفية ذلك، أو الاكتفاء بإرادة الفعل دون السعي إلى التطبيق.

لقد تحققت في واقع المجتمعات المسلمة، بفضل الله، خلال النصف الثاني من القرن العشرين؛ حالةٌ متعاظمةٌ من القناعة بالإسلام كخيار وطريق. ويجدر بنا الآن أن نتساءل: وماذا بعد؟. أما آنَ أوانُ الانتقال من القناعةِ إلى استحقاقاتها، ومن الشعار إلى الممارسة، ومن الطّرح المُقتَضب إلى بَلْوَرةِ الرُّؤى التفصيليةِ التي بوسعها أن تنزل بالفعل إلى دنيا الناس في شتى ميادين الحياة؟.

إنّ ملءَ الفراغِ إنما يكونُ باعتماد الوسَطيّةِ في الرؤية والفكرِ والمعالجة، فيتم تحاشي الإفراط والتفريط، كما ينبغي بصفة خاصة أن يتداعى المفكرون المسلمون إلى التصدِّي لنزعات التشدد والتطرّف والغلوّ، وهي التي ساهمت في تشويه فهم الإسلام وصورته، وكان لها دورها الملموس في التعمية على صورة الإسلام النقيّة.

رابعاً – معضلاتٌ عالقة:

ما يعزِّزُ إدراكَنا لواقع الفراغ المتزايد، هو أنّ الواقع الإنساني الذي تتجدّد معه المشكلاتُ والمعضلات يشهدُ على استعصاءٍ بعضِها على المعالجة أو الحلّ بالأدوات المطروحة من جانب الفاعلين الذين يتبوّأون اليوم مواقعَ الريادةِ العالميّة.

ولعلنا نجدُ في معضلةِ التنمية شاهداً صارخاً على ذلك، فالتنميةُ التي تعني الكثير بالنسبة لمعظم البشرية اليوم قد أخفقت مراراً، بل وتسبّبت في تراجع إضافيّ في بعض البؤر، لأسباب لا تبتعد بنا أحياناً عن المنظومة الفكرية التي تَبَلْوَر فيها المشروعُ الإنمائي. لقد جرى الاعترافُ

بهذا الإخفاق الإنمائي، لكنّ المنظومة الفكرية ذاتها ما زالت هي المرجعية رغم الشكوك التي تحوم حول قدراتها الفعلية على تقديم خيارات إنمائية صالحة لشتى المجتمعات الإنسانية.

ولنا أن نُشيرَ إلى شاهدٍ آخر، يتمثل في حصر المعالجات لبعض المعضلات بأدواتٍ محدّدة دوناً عن غيرها. فها هو فيروس نقص المناعة المكتسب / مرض الإيدز مثلاً، يتفشّى سنة وراء الأخرى، تاركاً عواقبَ كارثيةً متفاقمة، بينما يتم غضُّ الطّرْفِ عن خياراتٍ ممكنةٍ لمحاصرةِ المرَض وكبحِ جماحِهِ، وصولاً إلى تضييق الخناق عليه. لقد اعترفّ المجتمعُ الدوليُّ بالفعلِ بالعجزِ إزاء انتشار الإيدز، وهو أساساً اعترافٌ بعجزِ الأدواتِ المختارَةِ للمكافحة، لكنّ ذلك لا يعني استنفاذَ كافةِ الأدوات الممكنة، والتي يتم على المستوى العام والرسمي تحاشي الإشارة إلى بعضها لتصادمها مع بعض السلوكيات، التي تشجِّع عليها المنظومة الفلسفية التي تتبناها الأمم التي تشغل مواقع الريادة في العالم.

إنّنا نرى أنّ تعزيز قِيَمِ الإيمان والتديّن والفضيلةِ وحماية الأسرة والمسؤولية الذاتية؛ بوسعها أن تشكّلَ ملامحَ خيارٍ ناجعٍ في مواجهة آفة الإيدز المُقلقة، كما ينبغي كبحَ جماحِ الجشعِ المادي الذي يمثّل أحدَ آفات الممارسة الرأسمالية المعاصرة، وهو الجشعُ الذي يتسبّبُ، مع عوامل أخرى؛ في عدم إتاحةِ العقاقير العلاجية اللازمة لمرضى الإيدز جميعاً على قدم المساواة.

وإذا ما أمْعَنّا النظر في معضلاتٍ أخرى؛ فإنه لن يخفي علينا أنّ تجاهُلَ القيم الروحية والأخلاقية قد ساقَ الثورة العلمية إلى مزالق سحيقة، أشاعت الأحقاد والضغائن بين الأمم، كما حدث في التوظيف التدميريِّ لعلم الذرّة في سحق قاطني هيروشيما ونكازاكي، وكما يتجلى في ترسانة الدمار الشامل وما يرتبط بها من مخاطرَ مفزعةٍ على البشرية، وكما يمكن أن يحدث إذا ما انعَتَقت هندسةُ المورِّثات من كوابحِ القِيَمِ الروحيّةِ وضوابطِ الأخلاق.

فما الذي يُرغِمُ المتلاعبين بمنجزات العلوم الهائلة على الانضباط؛ طالما انعتَقوا من الوازع الديني والأخلاقي؟ إنّ ثمار المعرفة، عندما تسقط ناضجةً يانعةً بين أيدي الذين لا يؤمنون بالله، ولا تردعهم قيمٌ أو تضبطهم أخلاق، ولا يقيمون اعتباراً لكرامة الإنسان؛ تكون خراباً على الأرض وسكانها، وهو ما ندركُ شواهدَ متضافرةً عليه في العصرِ الراهن.

إنّ ما سبق لا يعدو أن يكونَ غيضاً من فيضِ المعضلاتِ العالقة في مجتمعاتنا الإنسانية الراهنة، وهي معضلاتٌ تستدعي خياراتٍ بديلةً للحلّ، بدلاً من الركونِ إلى عمليةِ التجديدِ الشكليِّ والتحويرِ المظهريِّ للأدوات التي مُنِيَت مراراً وتكراراً بالإخفاق.

خامساً– ديناميكية جديدة للتواصل والتأثير والبلاغ:

لقد اختطفت التطوّراتُ المتلاحقةُ في عالم التقنية والاتصال والإعلام الأنظارَ منذ بدايات التسعينيات من القرن العشرين. وقد ساهمت هذه المستجداتُ الباهرة في

إيجاد أرضيةٍ جديدةٍ من التواصلِ بين البشر، ومن الإحساس بالذات والقدرة على التأثير، خصوصاً وأنّ هذه التطوراتِ أوجدت فرصاً غيرَ مسبوقةٍ على صعيدِ التواصل التفاعلي (Interactive)، الذي لا يكتفي بالتلقّي بل وبوُسْعِهِ أن يبادر إلى البثّ. فاليومَ يستطيعُ أيٌّ منا، مثلاً، أن يدشّن موقِعاً على الإنترنت يكون متاحاً لمتصفّحي الشبكة الإلكترونية في أي مكان في العالم. لقد تطوّرت الفرص التقنية، وفي ظلالها توفرت آلياتٌ جديدةٌ بوسعها أن تكون "صوتَ من لا صوتَ لهم". إنّ هذا التحوّل مهمٌ للغاية، خاصة وأنه يعني استحالة فرضِ الحصار على الفكرةِ والرأي، فضلاً عن أن يُضرَبَ حصارٌ على مشروعٍ حضاريٍّ منشودٍ ذي رؤيةٍ عالمية. وإننا نلاحظُ اليومَ على سبيلِ المثالِ لا على سبيلِ المقارنة، كيف نجحت حركةٌ مناهضةِ العولمة؛ في أن تتحوّلَ إلى حركةٍ عالمية متعاظمةِ الحجمِ والأهمية والتأثير، وهو نجاحٌ لا يمكن تصوُّرُه بمعزلٍ عن الفتوح الاتصالية التي تم إحرازها في أواخر القرن العشرين.

إنّ هذه الفرص المتجددة والفعالة للتواصل والتأثير والبلاغ ينبغي أن تُستثمرَ على أفضلِ وجهٍ في إيصال خطابٍ وسطيٍّ إسلامي يتجاوز الآفاق، ويتواصلُ مع قطاعات الدائرةِ الحضاريةِ الإسلامية وشتى الدوائرِ الحضاريةِ والثقافيةِ الأخرى. ومن المؤسف أن تُستغلّ هذه الفرص لنشرِ ما يُسيءُ للصورةِ الإسلامية أو ما يسعى لطمسِ معالمها أو تشويه قسَماتِها.

سادساً – الإسلام في بؤرة الاهتمام العالمي:

يحوز الإسلام على اهتمام عالمي منقطع النظير منذ أعوامٍ عدة نجد ذلك بوضوح لدى زيارتِنا لمتاجر الكتب مثلاً في البلدان الغربية، حيث العناوين المتعلقة بالإسلام تتزاحم على أرفف الكتب الرائجة، كما نعثرُ عليه لدى التنقل بين محطات التلفزة العالمية، ونصادفه أيضاً في مواكبتنا للمجريات السياسية وللمداولات على الأصعدة الثقافية، بل إنّ الاهتمام بالإسلام اقتحم مجالات كثيرة، منها الميدان الاقتصادي كذلك على خلفية نجاح تجربة المصارفِ الإسلامية، وقبلَ ذلك كله فإنّ الإسلامَ حاضرٌ بشكلٍ بارزٍ في الميدان الديني باعتباره يُوصَف بأنه "الدين الحيّ" في عالمنا اليوم. لقد دفع ذلك بعضَهم إلى الحديثِ عن "عوْلمة الإسلام" [4] ، وهو ما يعكس بحدِّ ذاته حقيقة أنّ الشأن الإسلامي أصبحَ يشغلُ من الاهتمامِ والإدراك العالميْن موقعَ القلب.

ولا جدالَ في أنّ هذه الحالة من الاهتمام الجارف لم تنشأ من فراغ، بل تسبّبت بها عوامل متشابكة، يتداخل فيها الشغف بالاطلاع مع القلق من الإسلام والمسلمين، لكنها قد تمنحُ في بعض الحالاتِ أيضاً الانطباعَ بأنّ الرأيَ العامَّ العالميَّ يرغبُ في تجديد معلوماته المسبقة عن الإسلام بعد أن تبيّن له ضحالتها أو اختلاطها بالأساطير والمعلومات الخاطئة.

[4] Rethinking Globalization(s): From Corporate Transnationalism to Local Interventions (International Political Economy Series), by Preet S. Aulakh (Editor), Michael G. Schechter (Editor), 2000.

وما يلفتُ انتباهَنا في هذا المقام؛ أنّ مجرد الاكتراث الكبير بالشأن الإسلامي ينطوي على بُعدٍ إيجابي لا ينبغي تجاهله، حتى مع محاولات الإساءة والتشويه و"الإسلاموفوبيا" التي تركب موجة الاهتمام هذه. يتمثل هذا البُعد الإيجابي في أنّ الظروف تبدو مؤهلةً أكثر من أي وقت مضى في العصر الحديث، للاكتراث أيضاً بمشروعٍ حضاريٍّ إسلامي يُقدّمُ إلى العالم، وهو ما يقتضي أن يتوقفَ عنده أهلُ الشأنِ من المسلمين باستشعارِ المسؤولية الخاصة والأمانة العظيمة المترتبة عليه.

المبحث الرابع:

من معالم المشروع الحضاري الإسلامي المنشود:

كم هي عظيمةٌ المسؤوليةُ الملقاةُ على عاتقِ حَمَلةِ المشروعِ الحضاريِّ الإسلاميِّ، في صياغةِ هذا المشروعِ وبلورته. ذلك المشروع الذي يقوم على ثلاثة أركانٍ قِيَمِيّة:

- **منظومة القيم الروحية:** التي تقوم على أساس الإيمان، والتي تهدف إلى تحقيق التكامل بين الإيمانِ والعلم، والروح والمادة، وفق ما جاء به الإسلام، في توازنٍ تتجسّدُ معه صفةُ الوسَطيّة أيّما تجسّد، آخذين بعين الاعتبار أنّ الإيغالَ في المادية هو أحد الثغرات البادية للعيان في المنظومة القيميّةِ الغربيةِ ذات الحضور الأكبر في عالمنا اليوم.

- **منظومة القيم الأخلاقية:** كاستشعارِ المسؤولية والعمل بمقتضاها، والوفاءِ بالأمانة، ونبذِ الغشِّ والجشع والكذبِ والخيانة، وتجريم الاعتداء، وصونِ الحرثِ

والنّسل، وحمايةِ الأسرة، وتعزيزِ آصرةِ الزواج، والتواصلِ الإيجابي بين الأجيال، وكبحِ جماح الفساد بشتى صوره وتجلياته، وما إلى ذلك من القيم الأخلاقية.

■ **منظومة القيم الإنسانية الحضارية:** كالمساواةِ، والعدلِ، ونَبْذِ الظلمِ، وحمايةِ كرامةِ الإنسان، وكفالةِ الحقوقِ المقرّرةِ، ومناهضَةِ الاستعلاءِ والهيمنةِ والإذلال، ومكافحة التمييزِ العنصريِّ، وغير ذلك مما هو مقرّر.

ونحن بدورنا هنا، في معرضِ تناولنا للبعدِ الحضاريِّ للوسطيّة؛ إنما نبادرُ من جانبنا بالوقوفِ عند هذا المشروع المنشودِ للمرحلة المقبلة، والتي حددناها زمنياً بالربع الثاني من القرن الخامس عشر الهجري، الذي دخلناه اليوم بالفعل، وقد اخترنا الوقوف عند المشروع ضمنَ ومضاتٍ نأمل معها أن نُضيءَ بعضَ معالِمِه وأن نركّز على عددٍ من مفاصِلِه.

من معالم المشروع الحضاري الإسلامي المنشود للربع الثاني من القرن الخامس عشر الهجري:

- أنه مشروع يمثل انعكاساً لرسالة الإسلام السامية، ولمقاصده الكريمة، ولتوجيهاته العظيمة، كما هي مقرّرةٌ في كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.
- وهو مشروع يعكس تكامل الرسالة الإسلامية، ويستوعب مختلف الأبعاد وشتى جوانب الحياة ومستجداتها، بتماسك وانسجام.

- كما أنه مشروع ينطلق من صفاء الدين الإسلامي ووضوحه، وينهل من معينه الذي لا ينضب، مراعياً في الوقتِ ذاتِه سمة التنوع والتعددية في واقع المسلمين وفي حياة البشر، بشتى بيئاتهم.
- ويتولى هذا المشروع التصدي للمعضلات والقضايا التي تشغل بني الإنسان ويستجيب لتحديات العصر، ولكنه لا يكتفي بذلك؛ بل ويمتلك زمام المبادرة في شتى مواقع الفعل الإنساني الحميد.
- ويكونُ هذا المشروع مُعبِّراً أصدقَ تعبيرٍ عن الإنسان، الذي كرّمه الله تعالى، ويتبنى قضاياه العادلة وهمومِه المستعصية، بغضِّ النظر عن دينِه ولونِه وعِرقِه ووطنه، فهو يبشرُ بالعدالة ويمكّن لها، ويناهض الظلم ويتصدى له ويُعلي من شأن الحرية الحقة ويناصرها، ويؤكد المساواة بين البشر ويعزّزها، يرتفع باهتمامات البشر ويسمو بها، ويصون كرامة الإنسان ويحميها.
- ويبدي المشروعُ الحضاريُّ الإسلامي اكتراثاً بالإنسانية ككل، فلا يَقْصُر في اهتمامِهِ على أُمّةٍ دون أخرى، أو على مجالٍ دون آخر، ففي ترجمة لعالمية الإسلام على أرض الواقع؛ ينبغي لهذا المشروع أن يستوعب خصائص الأمم والشعوب في الشرق والغرب، وفي الشمال

والجنوب، وأن يتسم هذا المشروع بالإحاطة بشتى القضايا والمسائل التي تشغل البشرية، من الثقافةِ إلى الاجتماع، ومن السياسةِ إلى الاقتصاد، ومن البيئةِ إلى الفن، وغير ذلك كثير.

- إنه مشروعٌ يستجمِعُ العنوانَ والمضمون، ويستوعبُ الشعار والتفصيل، لا يكتفي بالعموميات دون التفصيلات، ولا يقتصرُ على الإجمال دون الغوْصِ في أغوارِ التخصّص.
- ويتميّز هذا المشروعُ باستيعابه لحصيلة الماضي، وبتعايشِه مع الواقعِ الحاضر، وباستشرافِه لآفاقِ المستقبل، ساعياً نحو المزيد من التأثيرِ الإيجابيِّ الفاعلِ في دنيا الناس وفي حركة العصرِ والتاريخ، دون أن يتخلى في غضون ذلك كله عن مرجعيته الإسلامية الصحيحة أو توجّهاته الكبرى المقررة أصلاً.
- إنّ المشروعَ الحضاريَّ الإسلاميَّ المنشودَ يصونُ القِيَمَ والمبادئَ والأخلاقياتِ المشتركة بين الأمم والثقافات والحضارات؛ كالعدل والحرية والحقوق، ويدفع باتجاه تعزيز هذه القواسم المشتركة، والوصول إلى "كلمة سواء" في هذا الشأن. ولا بد هنا من الانتباه إلى أنّ الوصول إلى "كلمة سواء" إنما يمسّ دلالات المفاهيم أيضاً، ويقضي بالحوار حولها بشكل متكافئ، بما لا يلغي الحقَّ في التنوّع بشأنها أيضاً. إذ أنّ

جملةٍ من المفاهيم لا يمكن لها أن تُنتَزعَ من خلفياتِها التاريخية والثقافية الخاصة بكل بيئةٍ، ليجري تعميمها قسراً على بيئاتٍ أخرى، لها ما تعتز به من الخصوصيات.

- يَتّسِم المشروعُ الحضاريُّ الإسلاميُّ بحضورِهِ في الحركة الفكرية والثقافية "المُعولَمة"، ويتميز بأنه يتضمن رؤىً ومشروعاتٍ فكريةً لائقةً بصفتها الإسلامية ومواكبةً للتفاعلات العالمية ومستجيبةً للتحديات المتعاظمة على شتى الأصعدة.

يحملُ المشروعُ الحضاريُّ الإسلامي رؤيةً لإصلاح النظامِ الدولي والعلاقات بين الأمم والشعوب وحكوماتها، رافضاً في ذلك شتى صور الهيمنة والاحتلال والوصاية والاستعمار.

الفهرس

مقدمة: مراحل تطور مفهوم الوسطية في الفكر المعاصر 7
الوسطية: منهج استراتيجي للأمة..... 13
المهندس مروان فاعوري
الأمين العام للمنتدى العالمي للوسطية

القسم الأول: الوثائق التأسيسية لفكر الوسطية 17
* رسالة عمان 19
* بلاغ مكة المكرمة 26
* البيان الختامي لمقررات القمة الإسلامية الإستثنائية لمكة المكرمة 31
- المجال الفكري..... 33
- المجال السياسي 34
- التضامن الإسلامي 36

- الإرهاب 36
- المجال الإقتصادي والإجتماعي 38
* برنامج الخطة العشرية للنهوض بالعالم الإسلامي..... 41
- الوسطية في الإسلام..... 42
- تعدد المذاهب..... 43
- مجمع الفقه الإسلامي..... 44
- محو الأمية..... 45
- التعليم العالي..... 45
- حقوق الطفل..... 46
- حاجات الشباب..... 46

- حقوق المرأة في العالم الإسلامي 47
- الحوار بين الحضارات 47
- التبادل الثقافي بين الدول الإسلامية..... 47

* الوسطية والإعتدال..... 49

الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي

-المقدمة..... 50

-مقاومة الغلو الديني 55

-مظاهر الغلو ودلائله 60

- عدم الإعتراف بالرأي الآخر 60
- إلزام جمهور الناس بالعزائم والتشدد 60
- التشدد في غير محلة 61
- الغلظة والخشونة 61

- سوء الظن بالناس 62
- السقوط في هاوية التكفير 63
-مقاومة التفريط والتسيّب 63
-معالم تيار الوسطية..... 65
-معالم الفكر الوسطي..... 65
-المعالم الأساسية لفكر الوسطية 67
- تبني التيسير والتبشير 68
- المصالحة بين السلفية والتصوف 75
- الإعتدال بين الظاهرية والمؤولة 76
-الموازنة بين الثوابت والمتغيرات 78
-مراعاة الواقع..... 81

- رعاية الضرورات 82
- إرتكاب أخف الضررين 83
-الأمة إلى التسامح والتعايش..... 84 .
-تبني الشورى والحرية للشعوب..... 86
-إنصاف المرأة باعتبارها شقيقة للرجل..... 86
-إحياء الإجتهاد..... 87

القسم الثاني: الوثائق السياسية لفكر الوسطية..... 91
-الوسطية المستنيرة في الإسلام..... 93
الدكتور أكمل الدين احسان اغلو
الامين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي

-تيار
الوسطية.....
..... 103
الدكتور سعد الدين عثماني
أمين عام حزب العدالة والتنمية في المغرب
-التطرف والغلو والإرهاب.. أسبابه ووسائل
علاجه..... 109
الأستاذ منتصر الزيات
محام ومدير مركز المستقبل للدراسات – مصر
-الإسلامي الحضاري.. مشروع النهضة
الماليزي..... 129
-التطرف
والغلو.....
143
الداعية السعودي الشيخ الدكتور محسن العواجي
حان وقت الوسطية
المستنيرة..... 153
الرئيس برويز مشرف – رئيس جمهورية باكستان
-الوسطية والبعد
الحضاري..... 161
الدكتور أحمد الراوي - رئيس اتحاد المنظمات
الإسلامية في أوروبا